دكتور شعبان صلاح

الجُملَة الاسميَّة عند الأخفش الأوسط

بين أقواله فى (معانى القرآن) وروايات العُلَماء عنه

دار غريب
للطباعة والنشر والتوزيع
القاهرة

الجُملَةُ الاسْمِيَّة
عند الأخفش الأوسط

بيْن أقواله فى (معانى القرآن) وروايات العُلماء عنه

دكتور
شعبان صلاح
كلية دار العلوم - جامعة القاهرة

دار غريب
للطباعة والنشر والتوزيع
القاهرة

الــكــتــاب الجملة الاسمية عند الأخفش الأوسط

المؤلـــف : د. شعبان صلاح

رقـم الإيـداع : ٢٣٧٣٩ / ٢٠٠٥

تـاريـخ الـنـشـر : ٢٠٠٦

الترقيم الدولى : I. S. B. N. 977 - 215 - 876 - 0

الـنـاشـر : دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع
شركة ذات مسئولية محدودة

الإدارة والمطابع : ١٢ شارع نوبار لاظوغلى (القاهرة)

ت : ٧٩٤٢٠٧٩ فاكس ٧٩٥٤٣٢٤

الـتـوزيـع : دار غريب ٣,١ شارع كامل صدقى الفجالة – القاهرة

ت ٥٩٠٢١٠٧ – ٥٩١٧٩٥٩

إدارة التسويق والمعرض الدائم ١٢٨ شارع مصطفى النحاس مدينة نصر – الدور الأول
ت ٢٧٣٨١٤٢ – ٢٧٣٨١٤٣

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله ، وبعد :

يُعد الأخفش الأوسط (سعيد بن مسعدة) واحدا من أشهر النحاة الأوائل الذين وضعوا اللبنات الأولى فى صرح النحو العربى . بيد أن آثاره ظلت إلى وقت قريب بعيدة عن متناول الدارسين ، ولم يُعرف منها حتى الآن غير (كتاب القوافى) الذى نشره محققا الدكتور : عزة حسن فى دمشق سنة ١٩٧٠م ، ثم أعاد نشره أحمد راتب النفاخ فى بيروت سنة ١٩٧٤م ، و (كتاب العروض) الذى نشره الدكتور : أحمد عبد الدايم في مكة المكرمة سنة ١٩٨٥م ، ثم أعاد نشره الدكتور : سيد البحراوى فى مجلة (فصول) التى تصدرها الهيئة المصرية العامة للكتاب ، وكتاب (معانى القرآن) الذى نشره الدكتور : فائز فارس ، فى الكويت سنة ١٩٧٩م ، كما نشره الدكتور : عبد الأمير محمد أمين فى بيروت سنة ١٩٨٠م .

والكتاب الأخير من بين الكتب الثلاثة هو الذى يمكن الإطلال منه على فكر الأخفش النحوى ، لضياع غيره من كتبه المتخصصة فى النحو وأبوابه .

ولقد لاحظت أن بعض ما روى عن الأخفش من آراء فى مصادر النحو يتعارض مع نصوصه الواردة فى (معانى القرآن) ، فكانت فكرة هذا البحث محاولة اجتلاء فكر الأخفش فى (الجملة الاسمية) علّها تكون تجربة لها ما بعدها فى استكمال هذا البناء .

فإن أصبتُ فى دراستى هذه شاكلة الصواب فهذا فضل الله وتوفيقه ، وإن كانت الأخرى فحسبى نبل القصد وشرف الغاية .

والله وحده هو الموفق لكل خير .

شعبان صلاح

تمهيد

يُعد البحث القيّم : (الضرورة الشعرية فى النحو العربى) الذى نال به صديقنا الأستاذ الدكتور : محمد حماسة عبد اللطيف درجة الماجستير من كلية دار العلوم بجامعة القاهرة أول بحث - على حد علمى - تفرغ لهذا الموضوع بالدرس الوافى والنظر الفاحص والحيدة والموضوعية . وفى هذا البحث الذى طُبع فى كتاب سنة ١٩٧٩م عرض الباحث آراء العلماء فى مفهوم الضرورة الشعرية بعد أن قسّمها إلى أربعة آراء :

الرأى الأول : رأى سيبويه وابن مالك ، ويحدد الضرورة بأنها ما يجوز للشاعر فى شعره مما لا يجوز له فى الكلام ، بشرطين :

١- أن يضطر إلى ذلك ، ولا يجد عنه مندوحة.

٢- أن يكون فى ذلك رد فرع إلى أصل ، أو تشبيه غير جائز بجائز (١) .

الرأى الثانى : رأى ابن جنى والجمهور ، والضرورة - عند هؤلاء - : ما وقع فى الشعر ، سواء أكان للشاعر عنه فسحة أم لا ، ولم يشترطوا فى الضرورة أن يضطر الشاعر إلى ذلك فى شعره ، بل جوزوا له فى الشعر ما لا يجوز فى الكلام وإن لم يُضطر ؛ لأنه موضع قد أُلفت فيه الضرائر . بل لقد ذهب ابن عصفور إلى أن الشعر نفسه ضرورة ، وإن كان يمكنه الخلاص منه بعبارة أخرى ، ولذلك جوز للشاعر ما لا يجوز فى الكلام ، اضطُر لذلك أو لم يُضطر (٢) .

الرأى الثالث : رأى الأخفش الذى نظر إلى الشعراء على أنهم طبقة مختلفة عن غيرهم ، وينبغى أن يباح لهم ما لا يباح لسواهم ، وتصبح تراكيب الشعر جارية

---

(١) الضرورة الشعرية فى النحو العربى/١٣٥

(٢) السابق/١٤٢، ١٤٣ .

على ألسنتهم فى مخاطباتهم ، وبالتالى يؤثرون فى غيرهم ممن يخالطونهم أو يقلدونهم أو غير ذلك . فقد ذهب الأخفش إلى أن الشاعر يجوز له فى كلامه وشعره ما لا يجوز لغير الشاعر فى كلامه ؛ لأن لسان الشاعر قد اعتاد الضرائر ، فجوز له ما لم يجز لغيره (٣) .

وبناء على هذا الرأى يقلل الأخفش من وجود ما سماه النحاة (ضرورة) ؛ لأنه يبيح للشعراء فى كلامهم العادى ما لا يجوز عند غيره إلا فى الاضطرار ، بناء على أن ألسنتهم قد اعتادت الضرائر على حد تعبيره (٤) .

الرأى الرابع : رأى ابن فارس الذى لا يكاد يعترف بما يسميه النحاة ضرورة، فالذى يأتى به الشاعر إما أن يكون له وجهٌ فى العربية ، وحينئذ لا يكون ضرورة ، وإما أن لا يكون له وجه فيها ، وعندئذ لا داعى للتكلف واصطناع الحيل للتخريج ، وإما أن يكون مردودا فحينئذ ينبغى أن يسمى باسمه الحقيقى ، وهو الغلط والخطأ ، فهو صاحب القول : « وما جعل الله الشعراء معصومين ، يوقون الخطأ والغلط ، فما صح من شعرهم فمقبول ، وما أبته العربية وأصولها فمردود »(٥) .

ومع ذلك قسم ابن فارس فى (الصاحبى) ما عده النحاة ضرورة ثلاثة أقسام:

أ - قسم يباح للشعراء دون غيرهم ، كتقصير الممدود ، ومد المقصور ، والتقديم والتأخير ، والإيماء والإشارة ، والاختلاس والإعارة والاستعارة ، إلا اللحن فى الإعراب ، أو إزالة كلمة عن نهج صواب ، فليس لهم ذلك .

ب - قسم يتناوله على أنه من خصائص العربية ، وأنه مظهر من مظاهر الافتنان فيها ، ويسميه بأسماء مختلفة ؛ كالبسط والقبض والإضمار ، وغير ذلك .

جـ - قسم أخير يعده خطأ وغلطا(٦) .

---

(٣) السابق/١٥٣.
(٤) السابق/١٥٥.
(٥) السابق/١٥٧ ، والصاحبى/٢٣١.
(٦) السابق/١٦٠-١٦٣.

وحينما ناقش الزميل مفهوم (الضرورة بين البصريين والكوفيين) رأى أن الآراء فى الضرورة لم تكن خاضعة لاتجاه من الاتجاهات الكبرى ، وإنما كان الخلاف فيها نتيجة الاجتهادات الفردية التى تنبع أساسا من سعة الرواية ، والموقف المختلف من مصادر الاستشهاد ، والتقعيد ، والإلمام باللهجات والقراءات القرآنية ، فالخلاف ليس فى المفهوم وإنما فى تطبيقه(٧) .

وإذا كان الزميل الكريم قد اعتمد فى ثلاثة الآراء : الأول ، والثانى ، والرابع ، على مؤلفات أصحابها ، فإنه اعتمد فى استخلاص رأى الأخفش على نقول عنه فى مصنفات النحاة من بعده ، ولم يكن للأخفش مؤلفٌ فى حوزة الزميل وقتئذ يستطيع من خلاله التحقق من صحة هذا المفهوم .

وبمراجعة (معانى القرآن) نرى الأخفش بريئا ، أو على الأقل : بعيدا من أن يبيح للشعراء فى كلامهم العادى ما يباح لهم فى أشعارهم . وسأقدم بعض النقول منتهيا من النظر فيها إلى نتيجة .

١- يقول عن جزم المضارع بلام مضمرة : « وقد زعموا أن اللام قد جاءت مضمرة، قال الشاعر :

محمدُ تَفْدِ نفسَك كلُّ نفسٍ ... إذا ما خِفْتَ من شىءٍ تَبَالا

يريد : لِتَفْدِ . **وهذا قبيح»**(٨) .

٢ - يقول : « وزعموا أن عيسى بن عمر كان يجيز :

فألفيتُه غيرَ مستعتبٍ ... ولا ذاكرَ اللهَ إلا قليلا

كأنه إنما طرح التنوين لغير معاقبة إضافة ، **وهو قبيح** ، إلا فى كل ما كان معناه « اللَّذَيْن » فحينئذ يطرح منه ما طرح من ذلك . ولو جاز هذا البيت لقلت : هم ضاربو زيدا ، وهذا لا يحسن(٩) ».

---

(٧) السابق/١٦٤.
(٨) معانى القرآن/٧٥.
(٩) السابق/٨٦.

٣ – قال : « وتقول للجميع : قد حَيُوا ، كما تقول : قد خَشُوا ، ولا تدغم ؛ لأن ياء خَشُوا تعتل ههنا ، وقال الشاعر :

وحَيٍّ حسبناهم فوارس كَهْمَسٍ ... حَيُوا بعد ما ماتوا من الدهر أَعْصُرَا

وقد ثقل بعضهم وتركها على ما كانت عليه ، **وذلك قبيح** ، قال الشاعر :

عَيُّوا بأمرهمُ كما ... عَيّتْ ببيضتها الحمامه
جعلتْ لها عُودَيْن من ... نَشَمٍ وآخرَ من ثُمامَة[١٠]

٤ – يقول : « ومنهم من يجعل (عليكم) و (بكم)، إذا كانت قبلها ياء ساكنة أو حرف مكسور ، بمنزلة (هم)، **وذلك قبيح لا يكاد يعرف** ، وهى لغة لبكر بن وائل»[١١].

فهو فى الاستعمالات السابقة يصم بالقبح ، مع أنها واردةٌ فى الشعر ، ولو كان ممن يمنح الشعراء خصوصية ومزيّة ، ويفضلهم على غيرهم ، ويجوّز لهم فى كلامهم وأشعارهم ما لا يجوز لغيرهم ، ما وصم استعمالاتهم بالقبح .

فإذا ما انتقلنا إلى كتابه الآخر : (العروض) وجدنا عنوانا واضحا : (هذا باب ما يحتمله الشعر مما يكون فى الكلام ومما لا يكون فى الكلام) ، وتحت هذا العنوان تحدث عن ظواهر منها هاء الإضمار للمذكر إن « كان قبلها حرفٌ مكسور ألحقتها فى الوصل ياء أو واوا ، نحو : مررتُ بهى ، وبهُو ، **وإن شئت حذفتها فى الشعر** ، وتركت الهاء متحركة . وبعض العرب يسكّنها ، وهى لغة لأزد السراة ، قال :

فظلْتُ لدى البيتِ العتيقِ أُجيلُهُ ... ومطْوَاىَ مشتاقان لَهْ أَرِقانِ

فإن كان قبل الهاء ياء ساكنة حركت الهاء بالضم والكسر فى الوصل ، ولم تلحقه شيئا ، نحو : عليهُ ، وعليه يا فتى ، وإن شئت ألحقتها ياء أو واوا ، والهاء من غير هذا تُلحقها فى الوصل واوا ، نحو : تأتِهُو [كذا] . وعند هو . **وإن شئت حذفت هذا فى الشعر** ، وتركت الهاء متحركة . وقد سمعت من العرب من يحذفه فى

---

(١٠) السابق/٣٢٤.
(١١) السابق/٢٨.

الكلام. واعلم أن كل ياء أو واو متحركتين فى آخر كلمة ، وما قبلها متحرك ، فإن شئت أسكنتها نحو : رأيت القاضِىْ ، وأردت أن تغزُوْ وتمضِىْ ، قال :

وما سوَّدَتْنى عـامرٌ عن وراثةٍ   أبَى اللهُ أَنْ أَسْمُوْ بأم ولا أبِ

وقال رؤبة :

سَوَّى مساحِيْهِنّ تقطيط الحُقَقْ

و (هى) و (هو) ، **كل هذا إن شئت أسكنت آخره فى الشعر** . واعلم أن كل ما لا ينصرف **يجوز صرفه فى الشعر** ، نحو قصر الممدود ، ولا يجوز [كذا ، والسياق غير مستقيم ، ويصح بحذف أداة النفى] الحذفُ **فى الشعر** ، فإذا قصرته فإنما تحذف حرفا . ولا يجوز مدّ المقصور ؛ لأنه لا يجوز الزيادة ، إلا فيما كان فى الجمع ثالث حروفه ألف ، وبعد الألف حرفان »(١٢) .

هذا النقل من كتاب (العروض) - على طوله - تكرر فيه التركيز على (الشعر) خمس مرات ، وهذا الإلحاح فى التركيز دليل واضحٌ على خصوصية الاستعمال الشعرى عند الأخفش ، مما ينتفى معه أن يبيح للشعراء أن يستعملوا فى النثر ما يستعملونه فى أشعارهم .

بل إن موضعا من المواضع التى أجازها البصريون فى الشعر ضرورة ، وأباح الكوفيون ورودها فى النثر اعتمادا على بعض القراءات القرآنية ، وهو (الفصل بين المضاف والمضاف إليه)(١٣) قال الأخفش فيه برأى مخالف دون أن يفصل بين الشعر والنثر فى ذلك . قال عن قوله تعالى : ﴿ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ ﴾ (١٤) : « فأضاف إلى الأول ، ونصب الآخر على الفعل ، ولا يحسن أن يضيف إلى الآخر ؛ لأنه يفرق بين المضاف والمضاف إليه ، وهذا لا يحسن ، فلابد من إضافته لأنه قد ألقى

---

(١٢) العروض/١٣٧-١٣٩.
(١٣) الضرورة الشعرية/٣٣٨-٣٤٣.
(١٤) سورة إبراهيم : آية ٤٧.

الألف . ولو كانت (مخلفاً) نصبهما جميعا ، وذلك جائز فى الكلام ، ومثله : هذا معطى زيد درهما ، ومعطٍ زيدا درهما »[١٥] .

فإذا ما انتقلنا إلى الظواهر التى اتخذها الدكتور حماسة أمثلةً لاتجاه الأخفش ، وعرضناها على ما ورد فى مؤلفاته ، وجدنا الآتى :

١ - قال إنه وجه بعض القراءات التى قيل عن مثيلاتها فى الشعر إنها ضرورة ، كقراءة « قواريراً قواريراً »[١٦] فى قراءة من صرف الأول ، معتمدا على شرح الصفار الفقيه لكتاب سيبويه[١٧] . ونص الأخفش فى (معانى القرآن) عند الحديث عن نصب (سلسبيلا) فى قوله تعالى : ﴿ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلاً ﴾[١٨]: «وقال بعضهم : لا ، بل هو اسم العين ، وهو معرفة ، ولكن لما كان رأس آية كان مفتوحا ، زدت فيه الألف كما كانت «قواريرا»[١٩] ، وليس فى نصه إلا حملُ فاصلة قرآنية على أخرى.

وقال الدكتور حماسة بعد ذلك : إن الصفار الفقيه أراد أن يرد على الأخفش قوله فوقع فيما هرب منه الأخفش ، حيث يقول : « وهذا لا حجة فيه ؛ لاحتمال أن يكون التنوين فى «قواريرا» بدلا من حرف الإطلاق ، فكان فى الأصل «قواريرا» ، وحرف الإطلاق يكون فى الشعر ، وفى الكلام المسجوع إجراء له مجرى الشعر ، فجعلت رءوس الآى جارية مجرى الكلام المسجوع فى لحاق حرف الإطلاق ، فيكون مثل قوله تعالى : ﴿ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا ﴾ [٢٠] ، و ﴿ هؤلاء أضلونا السبيلا ﴾ [٢١] ، وعلق الزميل بأن الصفار يجعل الضرورة فى القرآن الكريم[٢٢] .

(١٥) معانى القرآن/٣٧٧.
(١٦) سورة الإنسان : الآيتان : ١٥، ١٦.
(١٧) الضرورة الشعرية/١٥٤.
(١٨) سورة الإنسان : آية ١٨.
(١٩) معانى القرآن/ ٥٢١.
(٢٠) سورة الأحزاب : آية ١٠.
(٢١) كذا وردت الآية فى النص ، وأشار الزميل فى الحاشية إلى أنها الآية ٢٩ من سورة الأحزاب ، وهذا خطأ ؛ فما ورد خليط من الآية ٣٨ من سورة الأعراف : ﴿ربنا هؤلاء أضلونا فآتهم﴾ والآية ٦٧ من الأحزاب : ﴿إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا﴾ والأخيرة هى المرادة.
(٢٢) الضرورة الشعرية/١٥٤.

والأخفش - فى الحقيقة - صاحب هذا التوجيه ، وإن لم يأت به فى «قواريرا» ، وإنما قال عن آيتَى الأحزاب أنفسهما : «وأما قوله : ﴿وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا﴾ و ﴿فَأَضَلُّونَا السَّبِيلاْ﴾ فتثبت فيهما الألف ؛ لأنها رأس آية ؛ لأن قوما من العرب يجعلون أواخر القوافى إذا سكتوا عليها على مثل حالها إذا وصلوها ، وهم أهل الحجاز . وجميع العرب إذا ترنّموا فى القوافى أثبتوا فى أواخرها الياء والواو والألف»(٢٣) . وقال مرة أخرى : «والعرب تلحق الواو والياء والألف فى آخر القوافى، فشبهوا رءوس الآى بذلك»(٢٤) .

فالأخفش - إذن - صاحب الرأى ، وإن لم يكن عنده بديلا من التنوين ، أو يكن التنوين عنه بديلا .

٢ - قال إن الأخفش يجيز حذف الفاء من جواب الشرط فى النثر ، معتمدا فى ذلك على (مغنى اللبيب)(٢٥) ، ونص الأخفش فى (معانى القرآن) : «فالوصية على الاستئناف ، كأنه - والله أعلم - : إن ترك خيرا فالوصية للوالدين والأقربين بالمعروف حقا»(٢٦) .

٣ - قال إن الأخفش يجيز استعمال الكاف اسما فى الكلام(٢٧) ، ولم أجد مصداق ذلك في مؤلفات الأخفش التى وصلت إلينا .

٤ - قال إنه يجيز صرف ما لا ينصرف مطلقا دون التقيد بضرورة الوزن ، فللمتكلم فى غير الشعر أن يصرف الممنوع من الصرف ، معتمدا فى ذلك على (همع الهوامع)(٢٨) ، ونص الأخفش فى (العروض) : «واعلم أن كل ما لا ينصرف

---

(٢٣) معانى القرآن/٧٢.
(٢٤) السابق/٤٤٢.
(٢٥) الضرورة الشعرية/١٥٥ ، ومغنى اللبيب/١٤١:١.
(٢٦) معانى القرآن/١٥٨.
(٢٧) الضرورة الشعرية/١٥٥ ، والمغنى/١٥٤:١.
(٢٨) السابق/١٥٥ ، وهمع الهوامع/٣٧:١.

يجوز صرفه فى الشعر ، نحو قصر الممدود»[٢٩] وهذا يعنى أنه يخص الشعر بذلك.

٥ – قال إن الأخفش يجيز مجيء الفعل الماضى حالا دون أن يقترن بـ (قد) ، ودونما حاجة إلى تقديرها ، معتمدا على (الإنصاف فى مسائل الخلاف)[٣٠] ، ونص الأخفش فى (معانى القرآن) : « وقال : « إِلاَّ الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ أَوْ جَاءُوكُمْ حَصِرَةً صُدُورُهُمْ » ، أو : ﴿ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ ﴾ ؛ فـ (حصرة) اسم نصبته على الحال ، و (حصرت) : فَعِلَتْ ، وبها نقرأ»[٣١] ، وليس فى نص الأخفش تصريح بما أورده ابن الأنبارى ، فضلا عن أن أبا على الفارسى روى فى (المسائل المشكلة) أن الأخفش ذكر في كتابه (الكبير) أن المعنى فى هذه الآية : «أو جاءوكم قوما حصرتْ صدورهم» ، فحذف (قوم) ، وأقيم الوصف مقام الموصوف . وقد تكرر هذا النقل عن الأخفش ثلاث مرات، مما يعنى أنه مع رأى البصريين ، وليس مع الكوفيين[٣٢] .

٦ – قال إن الأخفش يجيز مد المقصور فى الضرورة ، وتابعه على ذلك الكوفيون ، معتمدا على (الإنصاف)[٣٣] ، ونص الأخفش فى (العروض) قاطع إذ يقول : «ولا يجوز مد المقصور ؛ لأنه لا يجوز الزيادة إلا فيما كان فى الجمع ثالث حروفه ألف ، وبعد الألف حرفان»[٣٤] .

هذه مواضع ستة مما نسب إلى الأخفش ، رأيناه يقول فى بعضها بعكس ما نسب إليه ، وكان نصه فى بعضها الآخر حياديا يمكن أن يوجّه على ما روى عنه .

من هذا المنطلق ، ورغبة فى استقاء الآراء من منابعها ، أبحنا لأنفسنا دراسة «الجملة الاسمية عند الأخفش الأوسط ، بين أقواله فى (معانى القرآن) وروايات العلماء عنه» ، وسيكون منهجنا فى عرض هذا الموضوع على الوجه الآتى :

(٢٩) العروض/١٣٩.
(٣٠) الضرورة الشعرية/١٥٥ ، والإنصاف/٢٥٢.
(٣١) معانى القرآن/٢٤٤.
(٣٢) المسائل المشكلة= البغداديات/٢٤٥ ، ٣٩٧ ، ٥٦٨.
(٣٣) الضرورة الشعرية/١٥٦ ، والإنصاف/٧٤٥.
(٣٤) العروض/١٣٩.

أ - أن نقدم القضايا التى تعرض لها الأخفش فى (معانى القرآن) باعتباره الأثر الوحيد الباقى من آثاره التى تضم آراءه النحوية ، مشيرين إلى أماكن ورود هذه الآراء فى مؤلفات غيره إن ورد لها ذكر .

ب - أن نورد بعد ذلك ما نسبه العلماء إليه ؛ فإن كان فى معانيه ما يناقضه بينّا ذلك ، وإن لم يرد له فى الكتاب ذكرٌ نبّهنا على عدم وروده.

وفيما يلى دراسة للجملة الاسمية غير المنسوخة ، وهى التي يعنون لها فى مصادر النحو بعنوان (المبتدأ والخبر) ، يلى ذلك الحديث عن (النواسخ) بترتيب ورود أبوابها فى ألفية ابن مالك .

الفصل الأول

المبتـــــدأ والخـــــبر

مفهوم الابتداء

يمكن أن يؤخذ تعريف الأخفش للمبتدأ من قوله : « وأما قوله : ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾(١) فرفعه على الابتداء، وذلك أن كل اسم ابتدأته لم توقع عليه فعلا من بعده فهو مرفوعٌ ،وخبره إن كان هو هو فهو أيضا مرفوع، نحو قوله: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ﴾(٢) ، وما أشبه ذلك. وهذه الجملة تأتى على جميع ما فى القرآن من المبتدأ فافهمها»(٣).

والتعريف بهذه الصورة يفترق كثيرا عن تعريف المبتدأ عند ابن هشام مثلا ، حيث يقول : « المبتدأ : اسمٌ ، أو بمنزلته ، مجرد عن العوامل اللفظية ، أو بمنزلته ، مخبرٌ عنه ، أو وصفٌ رافعٌ لمكتفىً به »(٤) .

فالتعريف الذى ذكره الأخفش يخلو - كما هو واضح - من الحديث عما هو بمنزلة الاسم ، وهو المصدر المؤول ، وقد جاء حديثه عن هذا النوع من المبتدأ متناثرًا فى مواضع عدة من معانيه، فهو يقول: « وقال : ﴿وَأَن تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ﴾(٥) ؛ لأن (أن) الخفيفة وما عملت فيه بمنزلة الاسم ، كأنه قال : الصيام خيرٌ لكم» (٦) ، ويقول فى موضع آخر : « وقال : ﴿وَأَن تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ﴾(٧) يقول : الصدقة خير

(١) سورة الفاتحة : آية ٢
(٢) سورة الفتح : آية ٢٩
(٣) معانى القرآن/٩.
(٤) أوضح المسالك/١ : ١٨٤.
(٥) سورة البقرة : آية ١٨٤.
(٦) معانى القرآن/١٥٩.
(٧) سورة البقرة : آية ٢٨٠

لكم، جعل ﴿أَن تَصَدَّقُوا﴾ اسما مبتدأ ، وجعل ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ خبر المبتدأ»[٨] ، ويقول فى موضع ثالث : «وقال : ﴿وَأَن تَصْبِرُوا خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ [٩]، يقول : والصبر خيرٌ لكم»[١٠]، وأخيرا يقول فى موضع رابع: « ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾[١١] ، فلم يذكر فيها (أنْ) ؛ لأن هذا يدل على المعنى ، وقال الشاعر :

ألا أيهذا الزاجرى أحضرَ الوغى — وأن أشهد اللذات هل أنت مخلدى

أراد : أن أحضر الوغى »[١٢] .

فهو لم يكتف بالاعتداد بالمصدر المؤول مبتدأ ، وإنما تجاوز ذلك إلى الاعتداد بالمصدر المؤول من حرف مصدرى غير مذكور فى اللفظ ، وإن كان معتدا به فى المعنى .

كما يخلو تعريف الأخفش من الحديث عن المبتدأ الخالى من العوامل اللفظية تنزيلا ، وهو المبتدأ المسبوق بحرف جر زائد ، ولكنه تعرض له فى موطن آخر حين قال : « وإذا قال: لا شىء ، فإنما هو جواب : هلْ مِن شىءٍ ؟؛ لأن (هل من شىء؟) قد عمل فيه (مِن) بالجر، وأضمر الخبر ، والموضع مرفوع، مثل : بحسبك أن تشتمنى ، إنما هو : حسبُك أن تشتمنى ، فالموضع مرفوع والباء قد عملت» [١٣].

فإذا ما ضممنا هذه النصوص معا رأينا الأخفش قد تحدث عن الاسم صريحا وغير صريح ، الواقع مبتدأ ، عاريا من العوامل اللفظية ، أو مسبوقا بحرف زائد يعمل فى اللفظ ولا يعمل فى الموضع ، وهذا مفهوم نصه الصريح : (والموضع مرفوع) ، (فالموضع مرفوع) .

---

(٨) معانى القرآن/١٨٨.
(٩) سورة النساء : آية ٢٥ .
(١٠) معانى القرآن/٢٣٣.
(١١) سورة الروم : آية ٢٤ .
(١٢) معانى القرآن/٤٣٧.
(١٣) السابق/٢٤.

يبقى من تعريف ابن هشام ذلك الحديث عن الوصف الرافع لمكتفى به ، وليس لهذا القسم من المبتدأ وجود صريح فى (معانى القرآن) ، وإن أسنده النحاة إلى الأخفش ، بل قالوا إنه مع الكوفيين فى رفع الوصف لما بعده غير معتمد على شيء مخالفا فى ذلك جمهور البصريين الذين يشترطون الاعتماد(١٤) .

بيد أن هذا المذهب يمكن أن يشتم من حديثه عن قوله تعالى : ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ﴾(١٥) فقد تعرض لتوجيه (سواء) فى قراءتى الرفع والنصب(١٦) ، مع ملاحظة أنه أورد الآية على قراءة الرفع ، وجعل قراءة النصب تالية فى التوجيه .

يقول : « وقال تعالى : « أن نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءٌ مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ »، فالسواء للمحيا والممات ، **فهذا المبتدأ** ، وإن شئت أجريته على الأول وجعلته صفة مقدمة من سبب الأول ، فجرتْ عليه ، فهذا إذا جعلته فى معنى (مستو) فالرفع وجه الكلام»(١٧) ، ويقول فى موضع آخر : « قال : « سَوَاءٌ مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ » رفع ، وقال بعضهم : إن المحيا والممات للكفار ، كأنه قال : ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ ، ثم قال : ﴿سَوَاءٌ مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ﴾ ، أى : محياهم محيا سوء ومماتهم ممات سوء ، **فرفع السواء على الابتداء** ، ومن فسّر المحيا والممات للكفار والمؤمنين فقد يجوز فى هذا المعنى نصب السواء ورفعه ؛ لأن من جعل السواء مُسْتَوًى فينبغى له أن يرفعه ؛ لأنه الاسم ، إلا أن تنصب المحيا والممات على البدل ، ونصب السواء على (استوى) ، وإن شاء رفع السواء إذا كان فى معنى (مُسْتَوًى) ؛ أنها صفة لا تصرف ، كما تقول : رأيت رجلا خيرا منه أبوه ، والرفع أجود»(١٨) .

---

(١٤) البغداديات/٤١٦ ، وابن عقيل/٧١ ، وأوضح المسالك/١ : ١٩١ ، والخزانة/٢ :١٠ ، والأشمونى/١ :١٩٢ ، وشرح التصريح/١ :١٥٧ .

(١٥) سورة الجاثية : آية ٢١ .

(١٦) قرأ حمزة والكسائى وحفص عن عاصم (سواءً) بالنصب، وباقى السبع بالرفع. السبعة/٥٩٥.

(١٧) معانى القرآن/٢٠٦ ، ٢٠٧ .

(١٨) السابق/٤٧٦، ٤٧٧ .

فمن النصين السابقين نستنتج أن قراءة (سواء) بالرفع ، على أنها مبتدأ -كما فى النص الأول - ، أو على الابتداء - كما فى النص الثاني- ، والنص الأول أكثر صراحة ؛ لأن الأخفش - كما سيتبين فيما بعد -يجعل الخبر مرفوعا على الابتداء، فلو لم يصرح بكون (سواء) مبتدأ لما أمكننا استنتاج كونها كذلك فى حالة الرفع . وعلى هذا التوجيه فـ ﴿مَحياهُمْ ومَماتُهم﴾ مرفوع بـ (سواءٌ) ؛ لأنها فى معنى (مستو). أما نصب (سواء) - وهى القراءة التالية فى اختيار الأخفش - فبالإمكان توجيهها على الحال السببية ، ويكون المحيا والممات مرفوعا بها ، إلا أن تنصب المحيا والممات على البدل من الضمير فى (نجعلهم) ، ويكون (سواءً) بالنصب هو المفعول الثاني للفعل (نجعل) .

أكرر قولى : إن هذا المذهب يشتم من قول الأخفش إن (سواء) بالرفع مبتدأ ؛ لأنه لم يصرح بكون المحيا والممات فاعلا سد مسد الخبر ، ليتكأ على قوله فيما نقل عنه ، فقد يكون الحكم بابتدائية (سواءٌ) المرفوعة على غير هذا المذهب ، كما حكى أبو حيان حين قال : « وقرأ الجمهور (سواءٌ) بالرفع ، و(مماتهم) بالرفع أيضا ، وأعربوا سواءٌ مبتدأ ، وخبره ما بعده ، ولا مسوغ لجواز الابتداء به ، بل هو خبر مقدم ، وما بعده المبتدأ ، والجملة خبر مستأنف»[١٩] .

والفراء - معاصر الأخفش - يقول فى معانيه : « وربما جعلت العرب (سواء) فى مذهب اسم بمنزلة : حسبك ، فيقولون : رأيت قوما سواءٌ صغارهم وكبارهم ، فيكون كقولك مررت برجل حسبُك أخوه ، ولو جعلت مكان (سواء) : مستو ، لم ترفع ولكن تجعله متبعا لما قبله ، مخالفا لسواء ؛ لأن مستويا من صفة القومِ ، ولأن (سواء) كالمصدر ، والمصدر اسمٌ»[٢٠] .

ومن ثم يبقى هذا الرأى المنقول عن الأخفش نقلا غير مؤيد بنص ، ولا موثق بصريح عبارة ، فى مؤلفات الأخفش التي وصلت إلينا .

---

(١٩) البحر/ ٨ : ٤٧ .

(٢٠) معانى الفراء/ ٣ :٤٧، وانظر أيضا : معانى القرآن للزجاج/ ٤ :٤٣٣ ، وإعراب القرآن للنحاس/ ٤: ١٤٥ ، ١٤٦ ، وإملاء ما مَنَّ به الرحمن للعكبرى/ ٢ :١٢٥.

بقى أن أنبه أن الأخفش يستعمل مصطلح (الابتداء) قاصدا به مفهوما آخر، وهو وقوع الفعل المضارع مرفوعا غير خاضع لمقتضيات النصب أو الجزم، سواء أكان ذلك المقتضى أداة ظاهرة أم مضمرة، أم باشتراك فى الإعراب عن طريق التبعية. يقول: «وما كان بعد هذا جواب المجازاة بالفاء والواو، فإن شئت أيضا نصبته على ضمير (أنْ) إذا نويت بالأول أن تجعله اسما، كما قال: ﴿إن يَشأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَىٰ ظَهْرِهِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ أَوْ يُوبِقْهُنَّ بِمَا كَسَبُوا وَيَعْفُ عَن كَثِيرٍ وَيَعْلَمَ الَّذِينَ﴾(٢١) فنصب، ولو جزمه على العطف كان جائزا، **ولو رفعه على الابتداء** جاز أيضا، وقال: ﴿وَإِن تُبْدُوا مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ﴾(٢٢) فتجزم (فيغفر) إذا أردت العطف، وتنصب إذا أضمرت (أن) ونويت أن يكون الأول اسما، **وترفع على الابتداء**، وكل ذلك من كلام العرب»(٢٣).

ويقول عند تعرضه لقوله تعالى: ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ﴾(٢٤): «وقد قال: ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ﴾ فإنما حدّث عما كانوا يلقون منهم، و﴿يَسُومُونَكُمْ﴾ فى موضع رفع، وإن شئت جعلته فى موضع نصب على الحال، كأنه يقول: وإذ نجيناكم من آل فرعون سائمين لكم، **والرفع على الابتداء**»(٢٥).

وفى قوله تعالى: ﴿وَمَنْ عَادَ فَيَنتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ﴾(٢٦) قال: «فهذا لا يكون إلا رفعا؛ لأن الجواب الذى لا يستغنى عنه. والفاء إذا كانت جواب المجازاة **كان ما بعدها أبدا مبتدأ، وتلك فاء الابتداء**، لا فاء العطف»(٢٧).

فالمقصود بالابتداء فى كل النصوص السابقة هو خلو المضارع من سوابق تؤثر فيه النصب أو الجزم، وقد يكون النص الأخير غير واضح الدلالة فى هذا

(٢١) سورة الشورى: آيات ٣٣، ٣٤، ٣٥.
(٢٢) سورة البقرة: آية ٢٨٤.
(٢٣) معانى القرآن/٥٩، ٦٠.
(٢٤) سورة البقرة/آية ٤٩.
(٢٥) معانى القرآن/٩٢.
(٢٦) سورة المائدة: آية ٩٥.
(٢٧) معانى القرآن/١٦.

الشأن ، إذ قد يفهم من قوله : « والفاء إذا كانت جواب المجازاة كان ما بعده أبدًا مبتدأ ، وتلك فاء الابتداء» أن الفاء داخلة على مبتدأ فى التقدير ، أى : فهو ينتقم الله منه - كما ذهب إلى ذلك أبو حيان فى البحر[٢٨] - وبذا يكون مصطلحا (المبتدأ) و(الابتداء) على بابهما المعروف. لكن عمومية الحديث عن الفاء إذا كانت جواب المجازاة ، وتأبيد ابتدائية ما بعدها ، ينفيان هذا الفهم ؛ لأن كون جواب الشرط جملة اسمية نوعٌ من أنواع ستة يقترن فيها الجواب بالفاء ، كما ذكرها ابن هشام[٢٩] والمصطلح صادق بالطبع على غير المبتدأ من الجملة الفعلية الجامد فعلها ، والجملة الإنشائية ، والمقترن فعلها بقد ، أو بالسين وسوف ... الخ .

رافع المبتدأ والخبر

ذهب الكوفيون إلي أن المبتدأ والخبر يترافعان ، بمعنى أن المبتدأ يرفع الخبر، والخبر يرفع المبتدأ. وذهب البصريون إلى أن المبتدأ يرتفع بالابتداء، واختلفوا فى رافع الخبر ؛ فمنهم من جعله مرتفعا بالابتداء وحده ، ومن جعله مرتفعا بالابتداء والمبتدأ معا ، ومن جعله مرتفعا بالمبتدأ[٣٠] ، فأين يقف الأخفش من هذه الآراء ؟.

صريح نصه هو : « فإنما رفع المبتدأَ ابتداؤُك إياه ، والابتداءُ هو الذى رفع الخبر فى قول بعضهم كما كانت (إنّ) تنصب الاسم وترفع الخبر ، فكذلك رفع الابتداءُ الاسم والخبر. وقال بعضهم : رفع المبتدأَ خبرُه [كذا] ، وكلٌّ حسن ، والأول أقيس»[٣١] .

وقبل التعليق على هذا النص أرى فى ضبط المحقق جملة (رفع المبتدأَ خبرُه) -بنصب (المبتدأ) ورفع (خبرُه) -عدولا عن الصواب، فالنص بضبطه ذاك يعنى أن الأخفش يستحسن رأى الكوفيين، ولو كان الأمر كذلك لما أخذ منه نصفه وهو: كون الخبر رافعا للمبتدأ، وترك النصف الآخر، وهو : كون المبتدأ رافعا للخبر ، وصواب

---

(٢٨) البحر/٤ : ٢٢ .

(٢٩) المغنى/١ :١٤٠ ، ١٤١ .

(٣٠) الإنصاف/ ٤٤ المسألة الخامسة.

(٣١) معانى القرآن/٩.

ضبط النص - على ما أرى - : «رفع المبتدأُ خبَرَهُ»، برفع (المبتدأ) ونصب (خبره) ، وهو رأى الفريق الثالث من البصريين الذى يجعل المبتدأ مرفوعا بالابتداء ، والخبر مرتفعًا بالمبتدأ .

نعود إلى نص الأخفش السابق ، والذى يتضح منه ميله إلى الأقيس ، وهو الرأى الأول الذى يجعل الابتداء عامل الرفع فى كل من المبتدأ وخبره ، وهذا ما تصرح به نصوصه الكثيرة فى معانى القرآن :

ففى قوله تعالى : ﴿ يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ ﴾ يقول : «فالمثلُ مرفوعٌ على الابتداء ، وإنما هو تفسير للوصية»(٣٢) .

وفى قوله تعالى : ﴿ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُم بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ ﴾ يقول : « فرفع (بعضكم) على الابتداء»(٣٣) .

وفى قوله تعالى : ﴿ لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ﴾ يقول: « بعضهم أولياء بعض : على الابتداء»(٣٤) .

وفى قوله تعالى : ﴿ وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُ ﴾ قال : « فـ (أجلٌ) على الابتداء ، وليس على قضى»(٣٥) .

وفى قوله تعالى : ﴿ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِ إِيمَانًا ﴾ قال : « فـ (أى) مرفوع على الابتداء لسقوط الفعل على الهاء»(٣٦) .

وفى قوله تعالى : ﴿ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ﴾ قال : « رفعٌ على الابتداء ، نحو قولك : ضربت زيدا وعمرو لقيته ، على الابتداء»(٣٧) .

وفى كل النصوص السابقة كان الحديث عن رافع المبتدأ ، وأنه (الابتداء) .

---

(٣٢) معانى القرآن/ ٢٨٨ ، وهى الآية ١١ من سورة النساء.
(٣٣) السابق/٢٣٣ ، وهى الآية ٢٥ من سورة النساء.
(٣٤) السابق/٢٦٠ ، وهى الآية ٥١ من سورة المائدة.
(٣٥) السابق/٢٦٩ ، وهى الآية ٢ من سورة الأنعام .
(٣٦) السابق/٣٣٩ ، وهى الآية ١٢٤ من سورة التوبة.
(٣٧) السابق/٣٥٤ ، وهى الآية ٤٨ من سورة هود .

أما الخبر فلا تقل نصوصه عما ورد فى المبتدأ من نصوص ، ومنها :

فى قوله تعالى : ﴿ أَغَيْرَ اللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ ﴾ قال عن (فاطِرِ) : «على النعت ، وقال بعضهم (فاطرُ) بالرفع على الابتداء ، أى : هو فاطرُ»(٣٨).

وفى قوله تعالى : ﴿ كِتَابٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ ﴾ قال : « على الابتداء » (٣٩) ، ومعلومٌ أنه خبر لمبتدأ مقدر ، أى : هو كتابٌ .

وفى قوله تعالى : ﴿ رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ ﴾ قال : « رفيعُ على الابتداء ، والنصب جائز لو كان فى الكلام ، على المدح» (٤٠) .

وفى قوله تعالى : ﴿ وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ * النَّارُ ﴾ قال : « فإن شئت جعلت (النارُ) بدلا من (سوءُ العذاب) ورفعتها على (حاق) ، وإن شئت جعلتها تفسيرا ورفعتها على الابتداء ، كأنك تقول : هى النارُ »(٤١) .

وفى قوله تعالى : ﴿ ذَلِكَ جَزَاءُ أَعْدَاءِ اللَّهِ النَّارُ ﴾ قال : « رفع على الابتداء ؛ لأنه تفسير للجزاء» (٤٢) .

وفى قوله تعالى : ﴿ كَلاَّ إِنَّهَا لَظَى * نَزَّاعَةً لِّلشَّوَى ﴾ قال : « نصب على البدل من الهاء ، وخبر (إن) : نزاعةٌ ، وإن شئت جعلت (لظى) رفعا على خبر (إن) ، ورفعت النزاعة على الابتداء»(٤٣) .

وفى قوله تعالى : ﴿ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ ﴾ قال : « رفع على الابتداء ، وجر على البدل»(٤٤) .

---

(٣٨) السابق/٢٧٠ ، وهى الآية ١٤ من سورة الأنعام .
(٣٩) السابق/٢٩٣ ، وهى الآية الثانية من سورة الأعراف.
(٤٠) السابق/٤٦٠ ، وهى الآية ١٥ من سورة غافر.
(٤١) السابق/٤٦٢ ، وهما الآيتان ٤٥ ، ٤٦ من سورة غافر .
(٤٢) السابق/٤٦٦ ، وهى الآية ٢٨ من سورة فصلت.
(٤٣) السابق/٥٠٨ ، وهما الآيتان ١٥ ، ١٦ من سورة المعارج.
(٤٤) السابق/٥١٣ ، وهى الآية ٩ من سورة المزمل.

والنصوص السابقة صريحة الدلالة فى اعتناق الأخفش كون الابتداء هو العامل في المبتدأ والخبر كليهما ، لا يقلل من صراحتها إلا ما قد يفهم من تعبيره الموهم فى بعض المواضع ، كأن يقول فى قوله تعالى : ﴿ما مكّني فيه ربّي خيرٌ﴾ : «فأدغم ورفع بقوله (خير) ؛ لأن (ما مكنّى) اسمٌ مستأنف»[٤٥] ، وكقوله عند تعرضه لقوله تعالى ﴿يسألونك ماذا ينفقون قل العفو﴾ : « إذا جعلت (ماذا) بمنزلة (ما) . وإن جعلت (ماذا) بمنزلة (الذى) قلت : العفوُ ، والأولى منصوبة وهذه مرفوعة ، كأنه قال: ما الذى ينفقون ؟ فقال : الذى ينفقون العفوُ . وإذا نصبت فكأنه قال : ما ينفقون ؟ فقال : ينفقون العفو ؛ لأن (ما) إذا لم تجعل بمنزلة (الذى) فـ (العفو) منصوب بينفقون، وإذا جعل بمنزلة (الذى) **فهو مرفوع بخبر الابتداء**»[٤٦]

فالنص الأول يمكن أن يفهم منه كون (ما مكنى) – وهو المبتدأ – مرتفعا بقوله (خيرٌ) – وهو الخبر – وفى النص الثانى قال عن الخبر إنه مرفوع بخبر الابتداء ، مما قد يعنى أن رافع الخبر كونه خبرًا للمبتدأ ، لكن مثل هذين النصين بما فيهما من إيهام لا يقدحان فى نصوص كثيرة واضحة اللفظ ، بيّنة المراد ، قاطعة البرهان ، فى اعتناق الأخفش الأقيس من الآراء ، وهو أن (الابتداء) هو عامل الرفع في كل من المبتدأ والخبر .

أما ما نسبه الزجاج إلى الأخفش من قوله إن (أُمّيُّونَ) فى قوله تعالى : ﴿ومنهم أميون﴾[٤٧] يرتفع بفعلهم ، كأن المعنى : واستقر منهم أميون، وما نقله عنه أبو حيان فى البحر من أنه يجيز فى (يعقوبُ) – على قراءة الرفع فى قوله تعالى : ﴿ومن وراء إسحاق يعقوب﴾[٤٨] – أن يرتفع بالجار والمجرور، أى: واستقر لها من وراء إسحاق يعقوب ، فلا وجود له فى (معانى القرآن) للأخفش ، إذ ركز عند تناوله لآية البقرة على الاستثناء فى ﴿لا يعلمون الكتاب إلا أمانيَّ﴾ وعلى تثقيل « أمانىّ»

(٤٥) السابق/٣٩٩ ، وهى الآية ٩٥ من سورة الكهف.
(٤٦) السابق/١٧٢ ، وهى الآية ٢١٩ من سورة البقرة.
(٤٧) سورة البقرة : آية ٧٨.
(٤٨) سورة هود : آية ٧١.

وتخفيفها ، فى حين وجه الرفع فى (يعقوب) من سورة هود على الابتداء ليس غير[٤٩] .

تنكير المبتدأ

ليس فى (معاني القرآن) تعبير صريح يتحدث عن مجىء المبتدأ نكرة ، أو يعدّد مواضعه ، كما فى كتب النحو المتأخرة[٥٠] ، لكن فيه مواضع يمكن أن تكون حديثا عن وقوع المبتدأ نكرة، منها موضعان يُعدّان قبيلا واحدا ، هما قوله فى قوله تعالى : ﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ﴾[٥١] : « برفع الويل ؛ لأنه اسمٌ مبتدأ ، جُعل ما بعده خبره ، وكذلك الويح والوَيْل والوَيْس ، إذا كانت بعدهن اللام ترفعهن . وأما التّعْس والبُعد وما أشبههما فهو نصبٌ أبدا ، وذلك أن كل ما كان من هذا النحو تحسن إضافته بغير لام فهو رفعٌ باللام ونصبٌ بغير لام، نحو: ﴿ وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ﴾[٥٢] وويلٌ لزيد . ولو ألغيت اللام قلت : ويلَ زيدٍ ووَيْحَ زيدٍ ووَيْسَ زيدٍ ، فقد حسنت إضافته بغير لام ، فلذلك رفعته باللام ، مثل : ﴿ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴾[٥٣] .

وعند حديثه عن قوله تعالى : ﴿ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَئَابٍ ﴾[٥٤] قال : «فـ(طوبى) فى موضع رفع ، يدلك على ذلك رفع (وحسنُ مآب) وهو يجرى مجرى : ويلٌ لزيد ؛ لأنك قد تضيفها بغير لام ، تقول ، طوباك ، ولو لم تضفها لجرت مجرى: تعسًا لزيد ، وإن قلت : لك طوبى ، لم يحسن ، كما لا تقول : لك ويلٌ»[٥٥] .

وواضح من النصين السابقين أن الأخفش يجَوّز وقوع المبتدأ نكرة إذا كان مقصودا بها الدعاء ، بل إنه يجعل تقدم المبتدأ على الخبر متسما بالوجوب ، حتى لا تختل دلالة الجملة ، أو لا يذهب اختلال الترتيب بالمراد من الدعاء .

(٤٩) راجع : معانى القرآن/١١٥-١١٨ ، ٣٥٥ ، ومعانى الزجاج/١:١٥٩، والبحر/٥ : ٢٤٤.
(٥٠) راجع شرح ابن عقيل/ ١٨-٨٤ ، وأوضح المسالك/١:٢٠٣ - ٢٠٥ ، وحاشية الصبان/ ١:٢٠٤ - ٢٠٨ ، وشرح التصريح/١: ١٦٨ - ١٧٠.
(٥١) سورة البقرة : آية ٧٩.
(٥٢) سورة المطففين : آية ١.
(٥٣) معانى القرآن/١١٨، والآية من سورة المرسلات، وقد تكررت فيها.
(٥٤) سورة الرعد : آية ٢٩.
(٥٥) معانى القرآن/٣٧٣.

أما الموضع الثانى فورد عند حديثه عن قوله تعالى : ﴿ أَمْ حَسِبَ الَّذِين اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ﴾(٥٦)، برفع (سواء) على الابتداء ، وهى نكرة ، لكن توجيه الابتداء بهذه النكرة غير صريح؛ ألأنها وصفٌ بمعنى (مستو) رافع لما بعده ؟ أم لأنها مصدر ميمى بمعنى (مُسْتَوًى)؟. يقول : « فالسواء للمحيا والممات فهذا المبتدأ ، وإن شئت أجريته على الأول وجعلته صفة مقدمة من سبب الأول ، فجرت عليه ، فهذا إذا جعلته فى معنى مستو فالرفع وجه الكلام»(٥٧) ، ويقول فى موضع آخر : «لأن من جعل السواء مُسْتَوًى فينبغى له أن يرفعه لأنه الاسم ، إلا أن ينصب المحيا والممات على البدل ، ونصب السواء على (استوى) ، وإن شاء رفع السواء إذا كان فى معنى (مُسْتَوًى) ؛ لأنها صفة لا تصرف ، كما تقول : رأيت رجلا خيرا منه أبوه ، والرفع أجود»(٥٨) .

فإذا أخذنا فى الحسبان ما نقله عنه النحاة من إجازة (قائمٌ الزيدان) رجحت كفة توجيه تنكير (سواء) على أنه وصف عامل فيما بعده بمعنى (مستو) ، ويكون مسوغ التنكير آنئذ هو كون النكرة عاملة(٥٩) .

وفى الموضع الثالث قال فى قوله تعالى : ﴿ وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُ ﴾(٦٠) : «فأجلٌ مرفوع على الابتداء»(٦١) وواضح أنها نكرة موصوفة ، وقال عن قوله تعالى : ﴿ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ﴾(٦٢) : « رفعٌ على الابتداء»(٦٣) و (أمم) نكرة لفظها يفيد العموم ، وقد

---

(٥٦) سورة الجاثية: آية ٢١ ، وانظر : السبعة/٥٩٥ .
(٥٧) معانى القرآن/٢٠٧ .
(٥٨) معانى القرآن/٤٧٦ ، ٤٧٧ .
(٥٩) راجع : أوضح المسالك/١٩١:١ ، والخزانة/٢ : ١٠ ، والأشمونى/١٩٢:١ ، وشرح التصريح/١ : ١٥٧ .
(٦٠) سورة الأنعام : آية ٢ .
(٦١) معانى القرآن/٢٦٩ .
(٦٢) سورة هود : آية ٤٨ .
(٦٣) معانى القرآن/٣٥٤ .

تكون نكرة موصوفة حذفت صفتها ، أى : قيل يا نوح اهبط بسلام منا وبركات عليك وعلى أمم مِنْ مَنْ معك ، وأمم مِنْ غيرهم سنمتعهم .

كما قال فى قوله تعالى : ﴿ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرٌ ﴾(٦٤) : « فجعل الخبر واحدا على الكل»(٦٥) ، و(كل) لفظ عموم ، كما أنه نكرة مضافة إلى نكرة ، فيمكن أن تكتسب بهذا نوعا من التخصيص .

وقوع المبتدأ بعد (إن) الشرطية :

ينفرد الأخفش من بين النحاة بإجازته وقوع المبتدأ بعد (إن) الشرطية ، على حين يعده الكوفيون مرفوعا بما عاد عليه من الفعل من غير تقدير فعل ، ويعده البصريون مرتفعا بفعل مقدر يكون الفعل المظهر تفسيرا له (٦٦) .

لكن الملاحظ أن الأخفش يجعل رأى البصريين أقيس الوجهين ، مع استحسانه لما ذهب إليه من رفع الاسم على الابتداء . والسر فى إجازته ذلك يعود - فى رأيه - لكون (إنْ) « أشَدَّ حروف الجزاء تمكنا » . وقد أورد رأيه ذاك فى ثلاثة مواضع من (معانى القرآن) :

الموضع الأول : عند حديثه عن قوله تعالى : ﴿ وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِن بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا ﴾(٦٧) حيث قال : «فجعل (إنْ) على الاسم ؛ لأنها أشد حروف الجزاء تمكنا . وإنما حسن هذا فيها إذا لم يكن لفظ ما وقعت عليه جزما ، نحو قولك :

★عاودْ هَرَاةَ وإنْ معمورُها خربا★(٦٨).

والموضع الثانى : عند حديثه عن قوله تعالى : ﴿ إِنِ امْرُؤٌ هَلَكَ ﴾(٦٩) حيث قال : «وقال : (إن امرؤ هلك) مثل : (إن امرأةٌ خافت) ، تفسيرهما سواء»(٧٠) .

---

(٦٤) سورة القمر : آية ٥٣.

(٦٥) معانى القرآن/٤٨٩ .

(٦٦) الإنصاف/ ٦١٥، ٦١٦ - المسألة ٨٥.

(٦٧) سورة النساء : آية ١٢٨.

(٦٨) معانى القرآن/٢٤٦ .

(٦٩) سورة النساء : آية ١٧٦.

(٧٠) معانى القرآن/٢٤٩.

والموضع الثالث: عند حديثه عن قوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ﴾(٧١) حيث قال: «فابتدأ بعد (إن)، وأَنْ يكون رفع (أحدا) على فعل مضمر أقيسُ الوجهين؛ لأن حروف المجازاة لا يبتدأ بعدها، إلا أنهم قد قالوا ذلك فى (إنْ) لتمكنها وحسنها إذا وليتها الأسماء، وليس بعدها فعلٌ مجزوم فى اللفظ، كما قال:

عاوِدْ هَرَاةَ وإنْ معمورُها خربا

وقال:

لا تجزعى إن مُنفِسا [كذا](٧٢) أهلكته ... وإذا هلكت فعند ذلك فاجزعى

وقد زعموا أن قول الشاعر:

أتجزعُ إن نفسٌ أتاها حِمامُها ... فهلاَّ التى عن بين جنبيك تدفعُ

لا ينشد إلا رفعا وقد سقط الفعل على شىء من سببه، وهذا قد ابتدىء بعد (إنْ)، وإن شئت جعلته رفعا بفعل مضمر»(٧٣).

والنص الأخير أكثر النصوص الثلاثة صراحة فى اعتبار المرفوع بعد (إن) مبتدأ، بيد أنه لا يمنع توجيهه-عند غيره- على كونه مرفوعا بفعل مضمر يفسره ما بعده، كما أنه يشترط لوقوع المبتدأ بعد (إن) ألا يكون بعده فعلٌ مجزوم فى اللفظ.

وبهذا الفهم الواعى من الأخفش لطبيعة (إن) الشرطية، وعدم إنكاره لرأى غيره فى توجيه الرفع، لا نرى مجالا لقول ابن الأنبارى: «وأما ما ذهب إليه أبو الحسن الأخفش من أنه يرتفع بالابتداء ففاسد، وذلك لأن حرف الشرط يقتضى الفعل ويختص به دون غيره، ولهذا كان عاملا فيه. وإذا كان مقتضيا للفعل، ولابد له منه، بطل تقدير الابتداء؛ لأن الابتداء إنما يرتفع به الاسم فى موضع لا يجب

(٧١) سورة التوبة/آية ٦.

(٧٢) كذا وردت (منفسا) فى النص المحقق، والسياق يقتضى رواية الرفع، وهى إحدى روايتى البيت، أوردها المبرد فى المقتضب/٢: ٧٦، والرضى فى الخزانة/ ١: ٣١٤.

(٧٣) معانى القرآن/٣٢٧.

فيه تقدير الفعل ؛ لأن حقيقة الابتداء هو التعرى من العوامل اللفظية المظهرة أو المقدرة ، وإذا وجب تقدير الفعل استحال وجود الابتداء الذى يرفع الاسم»(٧٤) .

بقى أن ننبه إلى أن النحاة ينسبون إلى الأخفش القول بوقوع المبتدأ بعد (إذا) الشرطية(٧٥) ، كما فى قوله تعالى : ﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ﴾(٧٦)، و﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾(٧٧) ، وقول الشاعر :

إذا باهلىٌّ تحته حنظلية ... له ولدٌ منها فذاك المذرَّعُ

ولم نعثر على هذا الرأى فى (معانى القرآن) ، فقد مر الأخفش على أمثال هذه الآيات مرورا عابرا ، دون أن يشير إلى كون المرفوع بعد (إذا) مبتدأ ، بل إنه فى أكثر هذه الآيات أغفل النقاش النحوى تماما، واهتم بالجانب اللغوى، أو التعرض لتصاريف الكلمة؛ ففى قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ﴾(٧٨) قال : «واحدتها العُشَرَاءُ ، مثل النُّفَساء ، أو النِّفاس، للجميع»(٧٩) ، وفى قوله تعالى : ﴿وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ﴾ (٨٠) قال : «وأده يئده وأدا ، مثل : وعده وعدا ، العين نحو الهمزة»(٨١) ، وفى قوله تعالى : ﴿وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ﴾(٨٢) قال : « خفيفة ، وثقل بعضهم ؛ لأن حرها شدد عليهم»(٨٣) ، وفى سورة الانشقاق قال : «وأما ﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ﴾ فعلى معنى ﴿يَا أَيُّهَا الإِنسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلاقِيهِ﴾(٨٤) ﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ﴾ ، على التقديم والتأخير»(٨٥) .

---

(٧٤) الإنصاف/ ٦٢٠.

(٧٥) الخصائص/ ١ : ١٠٥ ، والمغنى/ ١ :٨٥ ، والخزانة/٣:٢٩.

(٧٦) سورة الانشقاق : الآية الأولى.

(٧٧) سورة التكوير : الآية الأولى.

(٧٨) سورة التكوير : آية ٤ .

(٧٩) معانى القرآن/٥٢٩ .

(٨٠) سورة التكوير : آية ٨ .

(٨١) معانى القرآن/ ٥٣٠ .

(٨٢) سورة التكوير : آية ١٢ .

(٨٣) معانى القرآن/ ٥٣٠ .

(٨٤) سورة الانشقاق : آية ٦ .

(٨٥) معانى القرآن/٥٣٤ .

ومع تسليمنا ببقاء نسبة هذا الرأى للأخفش دون دليل يؤيد من (معانى القرآن) ، لا نرى مانعا من الاعتداد بهذه القاعدة المنسوبة إليه ، خاصة إذا كانت واردة فى مؤلفات ثقات ؛ كابن جنى ، وابن هشام ، والبغدادى ، فضلا عن عدم تعارضها مع ما قال به من قبل فى وقوع المبتدأ بعد (إن) الشرطية ، واتساقها مع ما قيل من « أن ورود الجملة الاسمية فى الشرط جائز فى اللغات السامية غير العبرية»(٨٦) ، وليست آراء الأخفش النحوية مقصورة على ما ورد فى (معانى القرآن) فإن له مؤلفات متخصصة فى النحو أودى بها الزمن ، وضنت علينا بها الأيام ، كما لا يفوتنا القول بأن إجازة وقوع المبتدأ بعد (إذا) ليس مقصورا على الأخفش ، وإنما يقول به الكوفيون أيضا .

دخول الفاء فى خبر المبتدأ

يجيز الأخفش اقتران خبر المبتدأ بالفاء إذا كان المبتدأ موصولا ، وصلته فعلٌ، تشبيها لخبر الموصول أنئذ بجواب الشرط ؛ فكما أن جواب الشرط يقتضى – فى بعض المواطن – الاقتران بالفاء ، كذلك خبر الموصول قد يقتضى – إذا تحققت له فعلية الصلة(٨٧) – أن يقترن بالفاء ، ونصوص الأخفش صريحة الأداء فى ذلك ، إذ تعرض لهذه القضية فى (معانى القرآن) أربع مرات :

١ – «وأما قوله : ﴿ وَاللَّذَانِ يَأْتِيَانِهَا مِنكُمْ فَآذُوهُمَا ﴾(٨٨) فقد يجوز أن يكون هذا خبر المبتدأ ؛ لأن (الذى) إذا كان صلته فعلا جاز أن يكون خبره بالفاء ، نحو قول الله عزوجل : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ ﴾(٨٩) ، ثم قال : ﴿ فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ ﴾(٩٠) .

(٨٦) التطور النحوى/ ١٣٤ ..
(٨٧) راجع: إعراب القرآن للنحاس/ ١ :٤٧٣ ، ومعانى القرآن للزجاج/ ١ : ٣٥٨، ٢ : ٨٠ ، والأصول لابن السراج/ ٢ : ١٦٨ .
(٨٨) سورة النساء : آية ١٦ .
(٨٩) سورة النساء : آية ٩٧.
(٩٠) معانى القرآن/ ٨٠ ، ٨١.

٢ – «وقال : ﴿ الَّذين يُنفقُونَ أَمْوالَهُم بِاللَّيلِ والنَّهارِ سِرًّا وعَلانيةً فلَهُم أَجْرُهُم عند ربِّهِمْ ولا خَوفٌ عليهم ﴾[٩١]، فجعل الخبر بالفاء ، إذ كان الاسم (الذى) ، وصِلَتُه فعلاً؛ لأنه في معنى (مَنْ) ، و(مَنْ) يكون جوابها بالفاء فى المجازاة ؛ لأن معناها : من ينفق ماله فله كذا ، وقال : ﴿ إنَّ الَّذين كفروا وصَدُّوا عن سَبيلِ اللَّه ثُمَّ ماتُوا وهُمْ كُفَّارٌ فلن يغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ﴾ [٩٢]، وقال : ﴿ والَّذين قُتلوا في سَبيلِ اللَّه فلن يُضِلَّ أَعْمالَهُمْ ﴾[٩٣] وهذا فى القرآن والكلام كثير ، ومثله : الذين يأتينا فله درهمٌ»[٩٤] .

٣ – «وقال : ﴿ وما أصابكُمْ يوْمَ التَقى الجمْعانِ فبإذْنِ اللَّه ﴾[٩٥]، فجعل الخبر بالفاء ؛ لأن (ما) بمنزلة (الذى) ، وهو فى معنى (مَنْ) ، و(مَنْ) تكون فى المجازاة ، ويكون جوابها بالفاء ، وقال : ﴿ فبإذْنِ اللَّه وليَعْلَمَ الْمُؤْمنين ﴾ ، فجعل الخبر بالفاء؛ لأن (ما أصابكم) : الذى أصابكم»[٩٦] .

٤ – «قال : ﴿ وما أصابَكَ من سيِّئةٍ فمن نَفْسكَ وأَرْسَلْنَاكَ للنَّاسِ رَسُولاً ﴾[٩٧] فجعل الخبر بالفاء ؛ لأن (ما) بمنزلة (مَنْ)»[٩٨] .

أما ما أُسند إلى الأخفش من قوله بجواز زيادة الفاء فى خبر المبتدأ على الإطلاق ، وأنه حكى (أخوك فوجد) ، أى (أخوك وجد) ، فقد حكاه ابن السراج فى الأصول ، فقال : «وتقول : الذى يأتينى فله درهمٌ ، والذى فى الدار فله درهمٌ ، فدخول الفاء لمعنى المجازاة ، ولا يجوز : ظننت الذى فى الدار فيأتيك ، تريد : ظننت الذى فى الدار يأتيك ، والأخفش يجيزه على أن تكون الفاء زائدة»[٩٩] . كما

---

(٩١) سورة البقرة : آية ٢٧٤.
(٩٢) سورة محمد : آية ٣٤.
(٩٣) سورة محمد : آية ٤.
(٩٤) معانى القرآن/١٨٧.
(٩٥) سورة آل عمران : آية ١٦٦.
(٩٦) معانى القرآن/٢٢٠، ٢٢١.
(٩٧) سورة النساء : آية ٧٩.
(٩٨) معانى القرآن/٢٤٢.
(٩٩) الأصول/ ٢ : ١٦٨.

أسنده إليه أبو على الفارسى فى (البغداديات) حيث قال : «فإن قلت : فقد تكون الفاء حرفا زائدا ، وقد حكى [ذلك][(١٠٠)] أبو الحسن الأخفش أنهم يقولون : أخوك فوجد ، يريدون أخوك وجد ، فيزيدون الفاء ، فأحملها فى البيت على هذا ليصح ما أقدر من إضمار الفعل المفسَّر ، ويكون غير معطوف عليه ما يفسره ، فإن زيادة هذه الفاء قد حكاه أبو الحسن ، ورواه أبو عثمان أيضا ، ولم يحكه سيبويه . وفى حمل البيت عليه تقوية لما ذهب إليه سيبويه من أن (أمّا) فى البيت إنما هو (أن) الناصبة للفعل ، ضُمت إليها (ما) ، إلا أن القول بزيادة الفاء ليس من مذهبه»[(١٠١)] ، وهو نفس ما حكاه ابن جنى فى (سر الصناعة)[(١٠٢)]، وابن هشام فى (المغنى)[(١٠٣)]، والبغدادى فى (الخزانة)[(١٠٤)] ، بل إن البغدادى زاد على ذلك قوله : «وهذا يدل على جواز ارتفاع (زيد) بالابتداء فى نحو : زيدٌ فاضرِبْهُ ، إن جعلت الفاء زائدة على ما يراه أبو الحسن»[(١٠٥)] ، وقوله فى قول الشاعر :

وقائلة : خولانُ فانكحْ فتاتهم   وأكرومة الحيَّيْن خِلْوٌ كما هيا

إن (فانكح) خبر المبتدأ : (خولان) عند الأخفش ، والفاء زائدة فى الخبر ، وهى عند سيبويه غير زائدة ، والأصل : هذه خولان فانكح فتاتهم[(١٠٦)] .

فما حقيقة موقف الأخفش من زيادة الفاء فى خبر المبتدأ غير الموصول ؟

للأخفش فى ذلك نصان ، يُعد أولهما - من وجهة نظرى - السبب الرئيس فى كل ما روى عنه فى هذا المجال ، ويُعد الثاني ناقضا لبعض ما روى عنه :

(١٠٠) زاد المحقق لفظة (ذلك) وقال إن السياق يحتاج إليها ليستقيم ، والسياق بدونها أكثر استقامة، وزيادتها حشوٌ لا طائل من ورائه.
(١٠١) البغداديات/ ٣٠٩.
(١٠٢) سر صناعة الإعراب/١ : ٢٦.
(١٠٣) المغنى/ ١ : ١٤١.
(١٠٤) الخزانة/١ : ٣١٥، ٤ : ١٤ ، ٩ : ٣٩١.
(١٠٥) السابق/٤ : ٣٦٩.
(١٠٦) السابق/١: ٤٥٥ ، ٨ : ١٩ .

يقول فى النص الأول : «وقوله : ﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مَن يُحَادِدِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ ﴾(١٠٧) ، وقوله : ﴿ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾(١٠٨) ، فيشبه أن تكون الفاء زائدة كزيادة (ما) ، ويكون الذى بعد الفاء بدلا من (أَنَّ) التى قبلها ، وأجوده أن تكسر (إنّ) ، وأن تجعل الفاء جواب المجازاة. وزعموا أنهم يقولون : أخوك فوجد ، بل أخوك فجهد ، يريدون : أخوك وجد ، و: بل أخوك جهد ، فيزيدون الفاء»(١٠٩) .

ونص الأخفش ليس بحاجة إلى إيضاح ، فهو يقول : «فيشبه أن تكون الفاء زائدة» يشبه !! ومع هذا فزيادتها ليست فى خبر المبتدأ ، وإنما جاءت فى البدل ، ليفسر بذلك فتح همزة (أن) فى قوله تعالى : ﴿ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ لأنه يراه موقعا من مواقع وجوب الكسر ؛ لأن الفاء جواب المجازاة الداخلة على جملة اسمية ، فالفاء بهذا تتغير مهمتها بين فتح (أن) وكسر (إن) ، وهو ما لم يره النحاة المتأخرون الذين يجعلون مثل هذه الآية شاهدا على جواز فتح الهمزة وكسرها ؛ فالكسر على معنى : فهو غفور رحيم ، والفتح على معنى : فالغفران والرحمة ، أى : حاصلان ، أو : فالحاصلُ الغفران والرحمة(١١٠) .

والعجيب أن المبرد روى عن الأخفش أنه قال فى قوله تبارك وتعالى : ﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مَن يُحَادِدِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ ﴾ ، قال : «المعنى : فوجوب النار له ، ثم وضع (أن) فى موضع المصدر » ثم علق المبرد على ذلك بقوله : « فهذا قول ليس بالقوى ؛ لأنه يفتحها مبتدأة ويضمر الخبر ، وكذلك قال فى قوله : ﴿ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾، أى فوجوب الرحمة له. والقول فيه عندنا التكرير» ، والمقصود بالتكرير - عند المبرد - هو تكرير (أَنَّ) توكيدا لـ (أَنَّ) الأولى ، والفاء داخلة على الجملة الاسمية ، فيكون

---

(١٠٧) سورة التوبة : آية ٦٣.

(١٠٨) سورة الأنعام : آية ٥٤.

(١٠٩) معانى القرآن/ ١٢٤ ، ١٢٥.

(١١٠) راجع مثلا ، أوضح المسالك/ ١: ٣٣٨.

«التقدير - والله أعلم - فله نار جهنم»(١١١) ، وهو ما ذهب إليه الفراء من قبله ، والزجاج من بعده(١١٢) .

كما أن أبا جعفر النحاس روى عن الأخفش أن (أن) الثانية بالفتح فى موضع رفع بالابتداء ، أى : فالمغفرة له ، و : فوجوب النار له (١١٣) .

والأعجب من هذا كله أن الأخفش عند تعرضه لآية سورة الأنعام : ﴿ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ قال : «فقوله : (أنه) بدلٌ من قوله : (الرحمة) ، أى : كتب أنه من عمل ، وقوله : (فإنه) على الابتداء ، أى: فله المغفرة والرحمة ، فهو غفور رحيم ، وقال بعضهم ، (فإنه) [كذا] أراد به الاسم وأضمر الخبر ، أراد (فإنّ) [كذا]»(١١٤) .

وعند تعرضه لآية التوبة قال : «﴿ ألم يعلموا أنه من يحادد الله ورسوله فإنّ له ﴾ ، فكسر الألف ، لأن الفاء التى هى جواب المجازاة ما بعدها مستأنف»(١١٥) .

فقد قرّ فى آية التوبة على كسر همزة (إن) . أما فى آية الأنعام فوجه كسر همزة (إن) على الابتداء ، ووجه الفتح على كون المصدر المؤول مبتدأ محذوف الخبر.

وأرى فى النص أمتا يصلحه أن يكون : «وقال بعضهم (فأنه) ، أراد به الاسم وأضمر الخبر ، أراد : فأن» ، لأنه إذا كان المقصود (فإنه) فكيف يكون خبرها مضمرا ، و﴿ غفور رحيم ﴾ أمامنا؟.

إن المقصود فتح الهمزة ، فتكون (أن) مع مدخوليها مؤولة بمصدر يقع مبتدأ خبره مقدر ، وهذا يعنى عودة الأخفش إلى الرأى الذى رواه عنه جلة من العلماء ،

---

(١١١) راجع المقتضب/ ٢ : ٣٥٤ ، ٣٥٥ .
(١١٢) راجع معانى الفراء/ ١: ٣٣٦، ٣٣٧، ومعانى الزجاج/ ٢ : ٤٥٩.
(١١٣) راجع إعراب النحاس/ ٢ : ٦٩ ، ٢٢٤ ، ٢٢٥ .
(١١٤) معانى القرآن/ ٢٧٥ ، ٢٧٦.
(١١٥) السابق/٣٣٤.

كالمبرد والنحاس ، وهو ما رواه الزجاج أيضا فى معانيه ، وإن لم ينسبه إلى نحوى بعينه[116] .

ومع كل ما سبق من نقاش فإن الفاء الداخلة على (أن) - إذا سلمنا بأنها زائدة ، وأن هذا رأى الأخفش نصا - ليست داخلة على خبر .

يتبقى المثالان المرويان : (أخوك فوجد ، و : بل أخوك فجهد) ، وحسبنا أن يصدرهما الأخفش بقوله : «وزعموا أنهم يقولون» ، وهذا - على قدر فهمى - أسلوب يعبر عن عدم الرضا بهذه الرواية . ويقطع الشك باليقين قول الأخفش نفسه فى النص الثانى الذى وعدت بذكره من قبل : «ومما ذكرنا فى هذا الباب من قوله : ﴿ وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا ﴾[117] و ﴿ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا ﴾[118]، ليس فى قوله : ﴿ فَاقْطَعُوا ﴾ و ﴿ فَاجْلِدُوا ﴾ خبر مبتدأ ؛ لأن خبر المبتدأ هكذا لا يكون بالفاء ، لو قلت : عبدالله فينطلق لم يحسن ، وإنما الخبر المضمر الذى فسرت لك من قوله : ومما نقص عليكم ، وهو مثل قوله :

★ وقائلة خولانُ فانكحْ فتاتهم ★

كأنه قال : هؤلاء خولان ، كما تقول : الهلالُ فانظر إليه ، كأنك قلت : هذا الهلالُ فانظر إليه ، فأضمر الاسم»[119] .

وبحسبى من النص السابق قوله : «لأن خبر المبتدأ هكذا لا يكون بالفاء»، فهو نص صريح فى عدم قبول الأخفش زيادة الفاء فى الخبر على الإطلاق . أما تخريجه للآيتين والشاهد الشعرى فلا يخرج عما رواه البغدادى عن سيبويه من أن التقدير : هذه خولان فانكح فتاتهم ، ومن ثم فلا يجوز عند الأخفش - كما روى البغدادى أيضا - : زيدٌ فاضربه ، على زيادة الفاء .

إن زيادة الفاء في خبر المبتدأ مطلقا ، إذا لم يكن موصولا صلته الفعل ،

---

(116) معانى الزجاج/٢: ٢٥٤.

(117) سورة المائدة : آية ٣٨.

(118) سورة النور : آية ٢ .

(119) معانى القرآن/٨٠.

افتياتٌ على الأخفش يرفضه أسلوبه فى التخريج ، ولغته فى تلقى المثال المزعوم الذى رتب عليه النحاة من بعده رأيا للأخفش فى زيادة الفاء .

لام الابتداء

ليس للأخفش فى هذه اللام رأىٌ متميز عن غيره من النحاة ، فهى لام - على حد تعبيره - « تدخل بعد العلم وما أشبهه ، ويُبتدأ بعدها ، تقول : لقد علمت لزيدٌ خيرٌ منك ، قال : ﴿لَمن تبعك منهم لأَملأنّ جهنّم منكم أجمعين﴾(١٢٠) ، وقال : ﴿لَيوسفُ وأَخوهُ أحبُّ إلىٰ أبينا منّا﴾(١٢١)»(١٢٢) .

ووظيفتها المعنوية التوكيد بصرف النظر عن وجود مؤكد آخر فى الجملة ، ففى قول الله سبحانه وتعالى : ﴿لَمَا آتيْتُكم مّن كتابٍ وحكمةٍ ثُمّ جاءكُمْ رسُولٌ مُّصدّقٌ لّما معكُمْ لتؤْمنُنّ به ولتنصرُنّه﴾(١٢٣) قال : « فاللام التى مع (ما) فى أول الكلام هى لام الابتداء ، نحو : لزيدٌ أفضل منك ؛ لأن ﴿ما آتيْتُكُم﴾ اسم ، والذى بعده صلة ، واللام التى فى ﴿لَتؤْمنُنّ به ولَتنصرُنّه﴾ لام القسم ، فكأنه قال : والله لتؤمنن به ، تؤكد فى أول الكلام وفى آخره»(١٢٤) .

وهى لام مفتوحة ، كما صرح بذلك فى قوله تعالى : ﴿وإنّ منكُم لَمَن لَّيُبطّئَنّ﴾(١٢٥) إذ قال : «فاللام الأولى مفتوحة ؛ لأنها للتوكيد ، نحو : إن فى الدار لزيدا ، واللام الثانية للقسم ، كأنه قال : وإن منكم مَنْ واللهِ ليبطئن»(١٢٦) ، وهى اللام نفسها التى دخلت فى الآية الأخيرة مما أوردناه على ما كان أصله مبتدأ ، فصار اسم (إن) مؤخرا ، ولهذا حديث سيأتى .

---

(١٢٠) سورة الأعراف : آية ١٨ .
(١٢١) سورة يوسف : آية : ٨ .
(١٢٢) معانى القرآن/ ١٤٢ وانظر أيضا : ٤٦٠ .
(١٢٣) سورة آل عمران : آية : ٨١ .
(١٢٤) معانى القرآن/٢٠٩ وانظر أيضا : ٢٩٥ .
(١٢٥) سورة النساء : آية ٧٢ .
(١٢٦) معانى القرآن/ ٢٤٢ .

والأخفش بهذه الآراء فى (لام الابتداء) متسق مع مذهب البصريين ، ومخالف للكوفيين الذين يعدونها جواب قسم مقدار [١٢٧] .

أما ما روى عن الأخفش من أنه حكى : «إن زيدا وجهُه لحسن» ، بدخول اللام على خبر المبتدأ ، وهو الذى عده ابن جنى من قبيل الضرورة [١٢٨] ، فلا أثر له فى (معانى القرآن) .

الإخبار بالظرف

أجاز الأخفش فى اسم المكان الواقع خبرا عن اسم عين أن ينصب على الظرفية ، فيكون الخبر شبه جملة ، وأن يرفع إذا جعل هو المبتدأ ، فيكون الخبر حينئذ مفردا . قال فى قوله تعالى : ﴿وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنكُمْ﴾[١٢٩] : « فجعل الأسفل ظرفا ، ولو شئت قلت : (أسفلُ منكم) إذا جعلته الركب ، ولم تجعله ظرفا»[١٣٠] ، وفى قوله تعالى : ﴿فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ﴾[١٣١] قال : « فجعل النار هى الموعد ، وإنما الموعد فيها ، كما تقول العرب : الليلة الهلالُ ، ومثلها : ﴿إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ﴾[١٣٢]

ويرى الصبان « أن ظرف المكان المتصرف إذا أخبر به عن اسم عين ترجح رفعه على نصبه إن كان المكان نكرة ، نحو : المسلمون جانبٌ والمشركون جانبٌ ، ويجوز : جانبا ، فإن كان معرفة ترجح نصبه على رفعه ، نحو : زيدٌ أمامَك ، وداري خلفَ دارك ، بالنصب ، ويجوز الرفع ، ولا يختص رفع المعرفة بكونها بعد اسم مكان، كما علمت من التمثيل ، خلافا للكوفيين . ويجب نصب غير المتصرف كفوق»[١٣٣] .

---

(١٢٧) الإنصاف/ ٣٩٩- المسألة ٥٨.
(١٢٨) سر صناعة الإعراب/١ : ٣٧٨.
(١٢٩) سورة الأنفال : آية ٤٢ .
(١٣٠) معانى القرآن/٣٢٣ ، وانظر إعراب النحاس/٢ : ١٨٨ .
(١٣١) سورة هود : آية ١٧.
(١٣٢) معانى القرآن/٣٥١، والآية هى رقم ٨١ من سورة هود .
(١٣٣) حاشية الصبان/ ١ : ٢٠٣.

المطابقة بين المبتدأ والخبر

تعد المطابقة بين المبتدأ والخبر مُسلّمةً من مسلّمات الدرس النحوى ، وهى السبب الأساس فى اشتراط وجود رابط فى جملة الخبر يربطها بالمبتدأ حتى تكون هناك صلة بين العنصرين ، إلا أن يكون الخبر عين المبتدأ فى المعنى، كما فى قوله ﷺ: « أفضلُ ما قلته أنا والنبيون من قبلى : لا إله إلا الله»، أو ما رواه ابن مالك من: نطقى اللهُ حسبى ، وكذا قوله تعالى : ﴿هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾(١٣٤) ، إذا قدر (هو) ضمير شأن ، ونحو : ﴿فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾(١٣٥) فإن جمهور النحاة لا يشترط فى أمثال هذه الجمل رابطا(١٣٦) .

والحق فى أمثال ذلك ما قاله الشيخ خالد الأزهرى : «إن مثل هذا ليس من الإخبار بالجملة ، بل بالمفرد على إرادة اللفظ ، كما في عكسه ، نحو : لا حول ولا قوة إلا بالله كنزٌ من كنوز الجنة»(١٣٧) .

ويعد حديثنا عن الرابط بين المبتدأ والخبر - إذا كان الخبر جملة على أصل استعمالها - استنتاجا من معالجة الأخفش لبعض الجمل الواقعة خبرا ؛ لأنه لم يصرح بلفظ (الرابط) فى أى نص من نصوصه . وهذه الروابط التى وردت فى (معانى القرآن) هى :

١ - **الضمير العائد على المبتدأ من جملة الخبر :** ولم يتحدث الأخفش عن ذلك الضمير الظاهر فى جملة الخبر ، وإنما ركز على الضمير المنوى ، وذلك فى موضعين من معانيه .

قال عند حديثه عن قوله تعالى : ﴿فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾(١٣٨) : « كأنه قال : فإن الله له غفور رحيم ، كما تقول : عبدُالله ضربت ، تريد : ضربته ، قال الشاعر :

(١٣٤) سورة الإخلاص: الآية الأولى .
(١٣٥) سورة الأنبياء : آية ٩٧.
(١٣٦) راجع : شرح ابن عقيل/ ٧٥ ، وأوضح المسالك/١ :١٩٧ ، وشرح التصريح/ ١ : ١٦٢، ١٦٣.
(١٣٧) شرح التصريح/ ١ : ١٦٤.
(١٣٨) سورة المائدة : آية ٣ .

ثلاثٌ كلُّهن قتلتُ عمدا فأخزى الله رابعةً تعودُ

وقال الآخر :

قد أصبحت أم الخيار تَدَّعِي على ذنبا كلُّه لم أصْنَعَ(١٣٩)

وقال فى قوله تعالى : ﴿ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الأُمُورِ ﴾(١٤٠) : «أما اللام التى فى (ولمن صبر) فلام الابتداء ، وأما (ذلك) فمعناه - والله أعلم -: إن ذلك منه لمن عزم الأمور . وقد تقول : مررتُ بدار الذراعُ بدرهم ، أى : الذراع منها بدرهم ، ومررت بِبُرّ قفيزٌ بدرهم ، أى قفيزٌ منه»(١٤١) .

٢ - **الإشارة إلى المبتدأ فى جملة الخبر** : وذلك فى قوله تعالى : ﴿ وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ﴾(١٤٢) حيث قال : « فرفع قوله : ﴿ وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ﴾ على الابتداء ، وجعل خبره فى قوله : (ذلك خيرٌ)(١٤٣) ، وفى قوله عز من قائل : ﴿ وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾(١٤٤) قال : « وقال : ﴿ وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ ﴾، ثم قال : ﴿ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾ فجعل (الذى) فى معنى جماعة بمنزلة «مَنْ»(١٤٥) .

٣ - **إعادة المبتدأ بلفظه فى جملة الخبر** : وذلك فى قوله : « قال : ﴿ فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ * وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ ﴾(١٤٦)، فقوله : ﴿ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ ﴾ هو الخبر، وتقول العرب : زيدٌ وما زيدٌ ؟ تريد : زيدٌ شديدٌ»(١٤٧) .

---

(١٣٩) معانى القرآن/٢٥٢ ، ٢٥٣ . وقد ضبط المحقق (كله) فى الرجز بالنصب ، ولا يتسق مع السياق ، وقد أثبتنا ما رأيناه صوابا .
(١٤٠) سورة الشورى : آية ٤٣ .
(١٤١) معانى القرآن/٤٧٠ .
(١٤٢) سورة الأعراف: آية ٢٦ .
(١٤٣) معانى القرآن/٢٩٧ .
(١٤٤) سورة الزمر : آية ٣٣ .
(١٤٥) معانى القرآن/ ٤٥٦ .
(١٤٦) سورة الواقعة : آية ٨، ٩ .
(١٤٧) معانى القرآن/٤٩١ .

وكأنه يعنى بقوله : « زيدٌ شديد » ذلك التفخيم المفهوم من إعادة المبتدأ بلفظه في جملة الخبر .

٤ - **أن يكون فى الخبر عمومٌ يشمل المبتدأ** : وعلى الرغم من أنه تحدث عن هذا الموضع فى خبر (إن) يمكن الاستشهاد به ؛ لأنه مسلَّمٌ عند كل عارف باللغة أن خبر (إن) كان فى الأصل خبرا للمبتدأ . ففى قوله تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً﴾ (١٤٨) قال : « لأنه لما قال : ﴿لا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً﴾ كان فى معنى : لا نضيع أجورهم ؛ لأنهم ممن أحسن عملا »(١٤٩) .

فإذا ما ورد الخبر مفردا (أى ليس جملة ولا شبه جملة) فالمطابقة فى العدد والنوع من مقتضيات سلامة الأسلوب وصحته . وقد كانت للأخفش بعض المعالجات لآيات وأشعار ظاهرها عدم المطابقة ، ففسرها تفسيرا تدخل به فى دائرة المطابقة ، أو اعتد بها قضايا منفصلة مما يمكن أن يتغافل فيه عن المطابقة، ومن ذلك :

١ - إذا وقع الخبر مصدرا لم تشترط المطابقة ؛ لدلالة المصدر على جنس الحدث ، قل أم كثر ، والقصد من مثل هذا التعبير هو المبالغة . ومن قبيل ذلك ما رواه فى قول الشاعر :

تركنا الخيلَ -وَهْىَ عليه- نَوْحاً ... مقلّدةً أَعِنّتُها صفونا

« وقال بعضهم : وهى عليه نَوْحٌ ؛ جعلها فى التشبيه هى النوح ؛ لكثرة ما كان ذلك منها ، كما تقول : إنما أنت شَرٌّ ، وإنما هو حمارٌ ، فى الشبه ، أو تجعل الرفع كأنه قال : وهى عليه صاحبةُ نوحٍ ، فألقى الصاحبة ، وأقام النوح مقامها ، ومثل ذلك قول الخنساء :

ترتعُ ما رتعت حتى إذا ذكرتْ ... فإنما هى إقبالٌ وإدبارٌ »(١٥٠)

---

(١٤٨) سورة الكهف : آية ٣٠.
(١٤٩) معانى القرآن/ ٣٩٦.
(١٥٠) معانى القرآن/٩٧.

وهو يركز على قضية التشبيه هذه فى أكثر من موضع ؛ فعند تعرضه لقوله تعالى : ﴿ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا ﴾(١٥١) قال : « فهو على أحد وجهين : إما أن يكون يراد بالحُسْن الحَسَن ، كما تقول : البُخْل والبَخَل ، إما أن يكون جعل الحُسْن هو الحَسَنَ فى التشبيه ، كما تقول : إنما أنت أكلٌ وشربٌ ، قال الشاعر :

وخيلٍ قد دلفتُ لها بخيل   تحيةُ بينهم ضربٌ وجيعُ

فجعل التحية ضربا ، وهذه الكلمة ليست بكثيرة ، وقد جاءت فى القرآن»(١٥٢) .

كما قال فى قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰ ﴾(١٥٣) : « وإنما النجوى فِعْلُهم ؛ كما تقول : هم قومٌ رِضا، وإنما الرضا فعلهم»(١٥٤) .

وبهذه النصوص الثلاثة وتفسيره لها ينتفى ما نسبه إليه أبو على الفارسى فى (البغداديات) من أنه يُجوّز فى (نوحٌ) وجها ثالثا ، وهو أن يكون جمعا ، كقولك : راكب وركْب ، وسافر وسَفْر ، ونحو ذا من أسماء الجمع(١٥٥) ، فلا وجود لهذا التوجيه فى نص الأخفش ، وإنما اكتفى بتوجيهين فقط ؛ أحدهما : التشبيه المقصود به المبالغة ، وثانيهما : أن يكون المصدر هو الجزء الثانى من تركيب إضافى حُذف جزؤهُ الأول ، وحل المصدر محله .

٢ - مراعاة معنى المبتدأ دون لفظه ، أو العكس : بأن يكون ظاهر المبتدأ الإفراد ومعناه الجمع، كما فى قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ ﴾(١٥٦). والذى أخبر عنه بقوله : ﴿ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾ ؛ لأن الذى فى معنى جماعة بمنزلة (مَنْ) (١٥٧) . أو يكون دالا على الجمع ولفظه مفرد ، كما فى قوله تعالى : ﴿ وَكُلٌّ

---

(١٥١) سورة البقرة : آية ٨٣.
(١٥٢) معانى القرآن/ ١٢٧.
(١٥٣) سورة الإسراء : آية ٤٧ .
(١٥٤) معانى القرآن/٣٩١.
(١٥٥) البغداديات/ ٢٠٦.
(١٥٦) سورة الزمر : آية ٣٣ .
(١٥٧) معانى القرآن/٤٥٦.

صغيرٍ وكبيرٍ مُستَطَرٌ ﴾(١٥٨) ، إذ روعى فى الخبر لفظ (كل) ، فجاء الخبر مفردا(١٥٩).

٣ - مراعاة معنى الخبر ، كأن يكون جماعة فى المعنى ، وهو فى اللفظ واحد وقد وجه بذلك قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ ﴾(١٦٠) ، وقال فى قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا ﴾(١٦١) : « لأن الطاغوت في معنى جماعة ، وقال : ﴿ أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ ﴾ ، وإن شئت جعلته واحدا مؤنثا »(١٦٢).

أو يكون الخبر مؤنثا فى ظاهر اللفظ ، وهو فى الحقيقة مذكر ، كما فى قوله تعالى : ﴿ وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا ﴾(١٦٣) حيث قال : «خالصة أُنث لتحقيق الخلوص ، كأنه لما حقق لهم الخلوص أشبه الكثرة ، فجرى مجرى راوية ونسّابة»(١٦٤) .

٤ - أن يكون المقصود بالخبر حكاية لفظه . وقد وجه بذلك قوله تعالى : ﴿ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ ﴾(١٦٥) حيث قال : «ولم يقل : أمهات ؛ كما يقول الرجل : ما لى نصير ، فيقول : نحن نصيرك ، وهو يشبه : دعنى من تمرتان ، قال :

تعـــرّضتْ لى بمكانِ حلِّ ... تعرُّض المهرة فى الطِّوَلِّ

تعرُّضًا لم تألُ عن « قَتْلاًلِّى »

فجعل على الحكاية ؛ لأنه كان منصوبا قبل ذلك كما ترى ، كما تقول : نُودِىَ الصلاةَ الصلاةَ ، أى تحكى قوله : الصلاةَ الصلاةَ »(١٦٦) .

---

(١٥٨) سورة القمر/ آية ٥٣.
(١٥٩) معانى القرآن/ ٤٨٩.
(١٦٠) انظر : معانى القرآن/١٨١ ، وهى الآية ٢٥٧ من سورة البقرة .
(١٦١) سورة الزمر : آية ١٧.
(١٦٢) معانى القرآن/ ٤٥٥.
(١٦٣) سورة الأنعام : آية ١٣٩.
(١٦٤) معانى القرآن/٢٨٨ ، وانظر : إعراب النحاس/٢ : ٩٩.
(١٦٥) سورة آل عمران : آية ٧.
(١٦٦) معانى القرآن/ ١٩٣ ، ١٩٤.

٥ - أن يكون الخبر من الصيغ الصالحة للمفرد وغيره ، كما فى قوله تعالى :

﴿ والْملائكةُ بعْد ذلك ظهير ﴾[١٦٧] .

وقد أورد هذه القضية عند حديثه عن قوله تعالى : ﴿ ولا جُنُبا ﴾[١٦٨] حيث قال : «وقوله : ﴿ ولا جُنُبا ﴾ فى اللفظ واحد ، وهو للجمع كذلك ، وكذلك هو للرجال والنساء ، كما قال : ﴿ والْملائكةُ بَعْد ذلكَ ظهيرٌ ﴾ ، فجعل الظهير واحداً، العرب تقول: هم لى صديقٌ ، وقال : ﴿ عن اليمين وعن الشمال قعيد ﴾[١٦٩] ، وهما قعيدان ، وقال : (أنا رسولُ ربّك) [كذا][١٧٠] ، وقال : ﴿ فإنَّهم عدوٌّ لِي ﴾[١٧١] ؛ لأن فَعُول وفَعيل مما تجعل واحدا للاثنين والجميع»[١٧٢] .

٦ - أن يراعى فى المطابقة أحد المتعاطفين إذا كان المبتدأ مكونا منهما ، وقد وجه على ذلك قوله تعالى : ﴿ واللّهُ ورسُولُهُ أحقُّ أن يُرْضُوهُ ﴾[١٧٣] ، قال : « أما قوله: ﴿ واستَعينوا بالصَّبْر والصَّلاة وإنَّها لكَبيرةٌ ﴾[١٧٤] فلأنه حمل الكلام على الصلاة، وهذا كلام، منه ما يحمل على الأول ، ومنه ما يحمل على الآخر ، وقال : ﴿ واللّهُ ورسُولُهُ أحقُّ أن يُرْضُوهُ ﴾[١٧٥]، فهذا يجوز على الأول والآخر، وأقيس هذا إذا كان

---

(١٦٧) سورة التحريم : آية ٤ .

(١٦٨) سورة النساء : آية ٤٣ .

(١٦٩) سورة ق : آية ١٧.

(١٧٠) أرى فى ذكر هذه الآية من سورة (مريم) خطأ واضحا، هو - بالتأكيد- من الناسخ ، تبعه فيه المحقق ، فـ (أنا) مفرد ، و (رسول) مفرد اللفظ ، فما جدوى ذكر هذه الآية فى هذا السياق ؟

وأرى أن المقصود هو قوله تعالى فى الآية السادسة عشرة من سورة (الشعراء) : ﴿إنا رسولُ ربّ العالمين﴾ ، بل هذا قصد الأخفش حقا ، والدليل على ذلك ما ورد فى ص٤٢٦ حيث قال : « قال : ﴿إنا رسول رب العالمين﴾ ، وهذا يشبه أن يكون مثل العدو ، وتقول : هما عدوٌّ لى» أ . هـ.

(١٧١) سورة الشعراء : آية ٧٧.

(١٧٢) معانى القرآن/ ٢٣٨ ، ٢٣٩.

(١٧٣) سورة التوبة : آية ٦٢.

(١٧٤) سورة البقرة : آية ٤٥ .

(١٧٥) سورة التوبة : آية ٦٢.

بالواو أن يحمل عليهما جميعا، تقول زيدٌ وعمرو ذاهبان، وليس هذا مثل (أو) ؛ لأن (أو) إنما يخبر فيه عن أحد الشيئين ، وأنت فى (أو) بالخيار ؛ إن شئت جعلت الكلام على الأول ، وإن شئت على الآخر ، وأن تحمله على الآخر أقيس ؛ لأنك إن تجعل الخبر على الاسم الذى يليه فهو أمثل من أن تجاوزه إلى اسم بعيد عنه »(١٧٦)

وواضح من النص السابق أن كلام الأخفش كان تفسيرا لأسلوب قرآنى أكثر من كونه قاعدة يمكن الاعتداد بها ؛ بدليل ركونه إلى « الأقيس » ، وهو الاعتداد بكل من المعطوف والمعطوف عليه في المطابقة إذا كان العاطف هو الواو . أما إن كان العاطف « أو » فهى بطبيعتها تقتضى الإخبار عن أحد المتعاطفين .

وقد كان توجيه الأخفش لقوله تعالى : ﴿السَّمَاءُ مُنفَطِرٌ بِهِ﴾(١٧٧) توجيها مهومّا، غير واضح المعالم ، فعند تعرضه لقوله تعالى : ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ﴾(١٧٨) قال : « وهو إنما ذكر سماء واحدة ، فهذا لأن ذكر السماء قد دلّ عليهن كلهن. وقد زعم بعض المفسرين أن السماء جميعٌ مثل (اللبن)، فما كان لفظه لفظ الواحد ومعناه معنى الجماعة جاز أن يجمع ، فقال ﴿سَوَّاهُنَّ﴾ ، فزعم بعضهم أن قوله : ﴿السَّمَاءُ مُنفَطِرٌ بِهِ﴾ جمع مذكر كاللبن ، ولم نسمع هذا من العرب ، والتفسير الأول جيد . وقال يونس : ﴿السَّمَاءُ مُنفَطِرٌ بِهِ﴾ ذكر كما يذكر بعض المؤنث ، كما قال الشاعر :

فــلا مــزنةٌ ودقتْ وَدْقَــهــا ... ولا أرض أبقل إبقــالَهـــا

وقوله :

فــإمـــا تَرَىْ لمّــتى بُدّلتْ ... فــإن الحـــوادث أودى بهـــا

وقد تكون (السماء) يريد به الجماعة ، كما تقول : هلك الشاة والبعير ، يعنى

---

(١٧٦) معانى القرآن/٨١.
(١٧٧) سورة المزمل : آية ١٨ .
(١٧٨) سورة البقرة : آية ٢٩ .

كل بعير وكل شاة ، وكما قال : ﴿ خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الأَرْضِ مِثْلَهُنَّ ﴾(١٧٩) ، أى : من الأرضين»(١٨٠) .

ونستطيع أن نفهم من النص السابق اعتراض الأخفش على معاملة (السماء) معاملة اسم الجنس الإفرادى الذى يصدق على القليل والكثير ، مثل (اللبن) ، وهو محق فى ذلك ؛ لأنها جمعت على (سموات) ، واسم الجنس الإفرادى الأصل فيه أن لا يجمع ؛ لأنه يصدق على القليل والكثير . أما الشاهدان اللذان أوردهما تأكيدا لرأى يونس فى أن السماء ذُكر كما يذكر بعض المؤنث فهما شاهدان شعريان ، وللشعر لغته بما يباح فيها من ضرائر لا تصلح في النثر ، فيبقى القول بأن (السماء) مرادٌ به الجماعة ، وهو ما لا يفسر تذكير (منفطر) !! .

وقد تعرض الفراء لهذه الآية فرأى أن السماء « تذكر وتؤنث ، فهى هاهنا فى وجه التذكير ، قال الشاعر :

فلو رفع السماءُ إليه قوما ... لحقْنا بالنجوم مع السحاب»(١٨١)

ويرى الزجاج أن التذكير على ضربين ؛ أحدهما : على أن السماء بمعنى السقف ، كما فى قوله تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا ﴾(١٨٢) .

والثانى : على جهة النسب ، أى سماء ذات انفطار ، كما يقال امرأة مرضع ، أى ذات إرضاع(١٨٣) .

وقد ذكر النحاس رأى الفراء وشاهده ، وأسند معاملة (منفطر) على جهة النسب إلى الخليل بن أحمد ، وذكر القول بتوجيه السماء على معنى السقف ، دون أن ينسبه إلى صاحبه(١٨٤) ، في حين ذكر الزمخشرى وجه النسب وهو كونها ذات

---

(١٧٩) سورة الطلاق : آية ١٢ .
(١٨٠) معانى القرآن/ ٥٤ ، ٥٥ .
(١٨١) معانى الفراء/ ٣: ١٩٩ .
(١٨٢) سورة الأنبياء : آية ٣٢ .
(١٨٣) معانى الزجاج/ ٥ : ٢٤٣ .
(١٨٤) إعراب النحاس/ ٥ : ٦١ .

انفطار ، ووجه التأويل بالسقف ، ثم أضاف وجها جديدا ، وهو كون (منفطر) نعتا لخبر محذوف ، والتقدير : السماء شيءٌ منفطر (١٨٥) .

أما أبو حيان فى البحر فذكر رأى الفراء فى جواز التذكير والتأنيث ، ورأى الزمخشرى فى كون (منفطر) نعتا لمذكر محذوف ، ونسب القول بتقديرها بذات انفطار إلى أبى على الفارسى ، والزجاج سابقٌ إليه - كما سبق أن وضحنا - كما نسب معاملة السماء معاملة السقف إلى أبى عمرو بن العلاء وأبى عبيدة والكسائى، وتبعهم القاضى منذر بن سعيد ، وأضاف رأيا آخر لأبى على الفارسى أن ﴿السماء منفطر﴾ « هو من باب الجراد المنتشر ، والشجر الأخضر ، و﴿أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنقَعِرٍ﴾(١٨٦) انتهى . يعنى أنها من باب اسم الجنس الذى يفرق بينه وبين مفرده تاء التأنيث ، وأن مفرده سماء [كذا ، والسياق يقتضى سماءة] ، واسم الجنس يجوز فيه التذكير والتأنيث ، فجاء منفطر على التذكير»(١٨٧) .

وكل الآراء السابقة محاولات جادة من النحاة لتفسير أسلوب قرآنى ، أحقها بالقبول رأى الأخفش إن كان معتمداً على مروى ، يليه فى درجة القبول كونُ المقصود بمنفطر : ذات انفطار ، كما يقصد بمرضع : ذات إرضاع ، أى على جهة النسب ، وهو ما نسبه النحاس إلى الخليل بن أحمد رحمه الله .

تعدد الخبر

تحدث الأخفش عن تعدد الخبر حديثا عارضا على أنه وجه من أوجه التوجيه لقوله تعالى : ﴿هَذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ﴾(١٨٨)، وقراءة قوله تعالى : «هذا بعلى شيخٌ»(١٨٩) برفع (شيخ) ، وذلك فى موضعين :

---

(١٨٥) الكشاف/ ٤ : ١٧٨ .

(١٨٦) سورة القمر : آية ٢٠.

(١٨٧) البحر/ ٨ : ٣٦٥ ، وانظر أيضا ٣٦٦ من الجزء نفسه .

(١٨٨) سورة ق : آية ٢٣ .

(١٨٩) سورة هود : آية ٧٢ ، والقراءة برفع (شيخ) لابن مسعود والأعمش كما فى البحر ٥ : ٢٤٤ ، والمختصر/ ٦٠.

الموضع الأول : وهو يتحدث عن مجيء (ما) نكرة بمنزلة (شيء) ، حيث قال: «ويقال إن قوله : ﴿هَذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ﴾ على هذا ؛ جعل (ما) بمنزلة (شيء) ، ولم يجعلها بمنزلة (الذى) ، فقال : ذا شيءٌ لديّ عتيد ، وقال الشاعر :

ربما تكره النفوسُ من الأَمْـ ـرِ له فَرْجَةٌ كحَلِّ العقالِ

فلولا أنها نكرة بمنزلة (مَنْ) لم تقع عليها (رُبَّ) . وقد يكون ﴿هَذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ﴾ على وجه آخر : أخبر عنهما خبرا واحدا ، كما تقول : هذا أحمرُ أخضرُ ؛ وذلك أن قوما من العرب يقولون : هذا عبدُ الله مقبلٌ ، وفي قراءة ابن مسعود : «وهذا بعلى شيخٌ» ، كأنه أخبر عنهما خبرا واحدا . أو يكون كأنه رفعه على التفسير، كأنه إذا قال : هذا ما لدى ، قيل : ما هو ؟ أو علم أنه يراد ذلك منه ، فقال : عتيدٌ ، أى : ما عندى عتيدٌ ، وكذلك : «هذا بعلى شيخٌ» ، وقال الراجز :

مَن يكُ ذابتٌ فهذا بتّى
مقيّظٌ مصيّفٌ مُشَتّى»(١٩٠)

والموضع الثانى : عند معالجة قوله تعالى : ﴿وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا﴾ فى سورة (هود) حيث قال : « وفى قراءة ابن مسعود : (شيخٌ) ، ويكون على أن تقول : هو شيخ؛ كأنه فسّر بعد ما مضى الكلام الأول ، أو يكون أخبر عنهما خبرا واحدا ، كنحو قولك : هذا أخضر أحمر ، أو على أن تجعل قوله : (بعلى) بدلا من (هذا) فيكون مبتدأ ، ويصير الشيخ خبره ، وقال الشاعر :

مَن يكُ ذابتٌ فهذا بتّى
مقيّظٌ مصيّفٌ مُشَتّى»(١٩١)

وواضح أن توجيه الأخفش يتركز حول عدة آراء :

١ - أن يكون كل من (عتيد) و (شيخ) خبرا لمبتدأ مقدر .

(١٩٠) معانى القرآن/ ٣٦، ٣٧.
(١٩١) معانى القرآن/٣٥٦.

٢- أن يكون كل منهما خبرا ثانيا لمبتدئه ، فيكون الخبر متعددا .

٣- أن تجعل (بعلى) بدلا من (هذا) ، ويكون (شيخٌ) خبرا لـ (هذا) .

٤- أن تكون (ما) فى ﴿هَذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ﴾ نكرة بمعنى (شىء) ، وهى الخبر ، و(لدى) نعتٌ لها ، و (عتيد) نعت آخر ، أو خبر ثان .

ومن ثم يكون تعدد الخبر واحدا من هذه التوجيهات المذكورة فى الآيتين ، بيد أنه متعين - كما نفهم - من قوله : هذا أحمرُ أخضرُ .

وقد كانت توجيهات الأخفش لهاتين الآيتين ذات تأثير واضح فيمن أتى بعده ؛ فالزجاج يذكر فى آية هود آراء الأخفش الثلاثة ، ولم يضف إليها سوى إمكان كون ما بعد (هذا) بيانا ، ومعلوم أن عطف البيان والبدل يتفقان إلا فى مواضع محددة ، ليس هذا الموضع منها(١٩٢) ، ولم يتعرض لآية سورة (ق) بالتوجيه . وأبو جعفر النحاس يذكر فى آية هود آراء الأخفش الثلاثة ، ومعها ما ذكره الزجاج ، مضيفا إلى هذه الأوجه الأربعة إمكان إعراب (شيخ) بدلا من (بعلى) على أن يكون (بعلى) خبرا(١٩٣) ، مع ملاحظة أن النحاس والزجاج يجريان التوجيه على مثال مناظر هو: هذا زيدٌ قائمٌ ، أما فى آية (ق) فأضاف جواز كون (عتيد) بدلا من (ما)(١٩٤) .

أما الزمخشرى فذكر فى آية هود الأوجه الثلاثة التى قال بها الأخفش دون أن يضيف إليها شيئا(١٩٥) ، فى حين جاء نصه فى آية (ق) كالآتى : «فإن قلت : كيف إعراب هذا الكلام؟ قلت : إن جعلت (ما) موصوفة فعتيد صفة لها ، وإن جعلتها موصولة فهو بدل ، أو خبر بعد خبر ، أو خبر مبتدأ محذوف»(١٩٦) .

(١٩٢) معانى الزجاج/٣ : ٦٤.
(١٩٣) إعراب النحاس/٢ : ٢٩٤.
(١٩٤) السابق/ ٤ : ٢٢٧.
(١٩٥) الكشاف/ ٢ : ٢٨١.
(١٩٦) السابق/ ٤ : ٧.

وقد نقل أبو حيان عن الزمخشرى توجيهه لآية (ق) (١٩٧) ، فى حين أورد فى آية هود كل الآراء التى قال بها من سبقوه(١٩٨) .

ويلاحظ أن جميع هؤلاء العلماء لم ينسبوا للأخفش رأيا مما سبق به فى توجيه هاتين الآيتين .

الحذف فى باب المبتدأ والخبر

لم يتحدث الأخفش عن حذف أحد ركنى الجملة الاسمية حديثا صريحا إلا فى قضيتين اثنتين ، مع ملاحظة أنه يتحدث عن الحذف تحت مُسَمَّى (الإضمار) ، أى : تقدير أى الركنين ، وهاتان القضيتان هما :

أ - **حذف المبتدأ وإبقاء صفته** : وذلك فى توجيهه لقوله تعالى : ﴿مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ﴾(١٩٩) ، إذ قال : « يقول : منهم قومٌ ، فأضمر القوم . قال النابغة الذبيانى .

كـأنك من جـمـال بنى أُقَـيْشٍ ... يُقَـعْـقَـعُ بين رِجْلَيْـهِ بشَنِّ

أى : كأنك جملٌ منها ، وكما قال : ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلاَّ لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ﴾(٢٠٠) ، أى : وإن منهم أحدٌ إلا ليؤمنَنَّ به . والعرب تقول : رأيت الذى أمس ، أى رأيت الذى جاءك أمس ، أو تكلم أمس»(٢٠١) .

وهذا التخريج - كما قال أبو حَيّان- «مذهب سيبويه وأبى على»(٢٠٢).

يقول سيبويه : «وسمعنا بعض العرب الموثوق بهم يقول : ما منهم مات حتى رأيته فى حال كذا وكذا ، وإنما يريد : ما منهم واحدٌ مات . ومثل ذلك قوله تعالى

---

(١٩٧) البحر/ ٨ : ١٢٦.
(١٩٨) السابق/ ٥ : ٢٤٤ .
(١٩٩) سورة النساء : آية ٤٦ .
(٢٠٠) سورة النساء : آية ١٥٩.
(٢٠١) معانى القرآن/ ٢٣٩ ، ٢٤٠ - وراجع : معانى الزجاج/ ٢ :٥٧ ، ٥٨ ، ١٢٩، وإعراب النحاس/ ١ : ٥٠٣ ، والكشاف/ ١ : ٥٣٠ ، ٥٨٠ ، والبحر/ ٣ : ٢٦٢ ، ٣٩٢.
(٢٠٢) البحر/ ٣ : ٢٦٢ .

جده : ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلاَّ لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ﴾ . ومثل ذلك من الشعر قول النابغة:

كـأنك من جـمـال بنى أقـيش يُقَـعْـقَعُ خلف رجليـه بشَنِّ

أي : كأنك جملٌ من جمال بنى أقيش.

ومثل ذلك أيضا قوله :

لو قلت ما فى قومها لم تِيثَمِ يفضلُها في حسب ومِيسَمِ

يريد ما فى قومها أحدٌ . فحذفوا هذا كما قالوا : لو أن زيدا هنا ، وإنما يريدون : لكان كذا وكذا . وقولهم : ليس أحدٌ ، أى : ليس هنا أحد ، فكل ذلك حذف تخفيفا ، واستغناء بعلم المخاطب بما يعنى ، ومثل البيتين الأولين قول الشاعر ، وهو ابن مقبل :

وما الدهرُ إلا تارتان فمنهما أموتُ ، وأخرى أبتغى العيش أكدحُ

إنما يريد : منهما تارة أموت ، وأخرى»(٢٠٣) .

أما أبو على فيقول فى (العضديات) : «وقال : ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلاَّ لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ﴾ ، فأفرد فاعل (يؤمنن) ، والمعنى : وإن من أهل الكتاب أحد ، وكذلك قوله : ﴿وَمَا مِنَّا إِلاَّ لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ﴾(٢٠٤) ، أى : أحد»(٢٠٥) ، ويقول فى (البصريات) : «فإن قيل : قد جاء ﴿وَمَا مِنَّا إِلاَّ لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ﴾ ، ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلاَّ لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ﴾، و : وما منهم مات حتى رأيته ، ★ وما الدهرُ إلا تارتان★ ، ونحو هذا . قيل له : إنما جاز الحذف فى قوله : ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلاَّ لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ﴾ ؛ لأنه مبتدأ غير موصوف ، إنما هو محذوف من : وإن من أهل الكتاب أحدٌ إلا ليؤمنن به ، فهذا محذوف على هذا التقدير ، والمبتدأ حذفه سائغ . وكذلك : ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلاَّ وَارِدُهَا﴾(٢٠٦) ﴿وَمَا

(٢٠٣) الكتاب/ ٢ : ٣٤٥ ، ٣٤٦.
(٢٠٤) سورة الصافات : آية ١٦٤ .
(٢٠٥) العضديات/ ٥٤ .
(٢٠٦) سورة مريم : آية ٧١.

منا إلاّ له مقامٌ مَعلومٌ﴾ ، حذف من : وإن منكم أحدٌ إلا واردها ، وما منا أحدٌ إلا له مقام معلوم»[٢٠٧] .

وهو بهذا النقاش يستحسن قول ابن السراج بألا تقام الصفة مقام الموصوف المحذوف ، وفى موضع آخر يقول : « ولم يستحسن هذا الحذف كما يستحسنه إذا كان فى الكلام شىء يطول به ، نحو قوله تعالى : ﴿وإن مّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إلاَّ لَيُؤْمِنَنَّ به﴾، ونحو قوله تعالى : ﴿ وما منّا إلاّ لَهُ مقامٌ مَّعْلُومٌ﴾ ، وكذلك قوله تعالى : ﴿وإن مّنكُمْ إلاَّ واردُها﴾ ، لما طال الكلام بالظرف حسن»[٢٠٨] . .

وفى موضع ثالث يقول : «ولا يجوز على قول سيبويه إلا أن يجعل موصوفا محذوفا ، كما تأولوا : ﴿ ومنْ آياته يُريكُمُ الْبَرْقَ﴾[٢٠٩] ، ﴿من الَّذين هَادُوا يُحرِّفُونَ الْكَلمَ﴾، وذا النحو ؛ فإنه يستقيم على هذا»[٢١٠] .

وقد كان رأيه أكثر وضوحا فى (البغداديات) حيث قال : «وأجازوا أن يكون المعنى على : من الذين هادوا فريقٌ يحرفون الكلم ، وقومٌ يحرفون ، ونحو ذلك. فإن قلت : أفيجوز على هذا : من القوم يأكل ، تريد : رجلٌ يأكل ، وهلا جاز على هذا : مررتُ بيقوم ، تريد : برجل يقوم ؟ قيل له : أما الآية فهذا التقدير فيها سائغ ، كأنه: من الذين هادوا فريقٌ ، فحذف بعدُ اللفظُ ، والمراد إثباته ، وعلى هذه الشريطة حذف ، لا على أن يقوم الوصف مقام الموصوف . يُبين ذلك أن تحكم على موضع الجملة التى هى (يحرفون) أنها رفعٌ لكونها وصفا للمبتدأ ، لا لأنها مبتدأ ، كما يعرف بحكمك على موضع الجملة من نحو :

★ يا رُبٌّ من يبغض أذوادنا ★

---

(٢٠٧) البصريات/ ٨٣٩ ، ٨٤٠ ، وانظر الأصول/ ١:٩٤ ، ٩٥.

(٢٠٨) السابق/ ٧٨٩.

(٢٠٩) سورة الروم : آية ٢٤.

(٢١٠) البصريات/ ٢٤٧.

أن الجملة صفةٌ لا صلة ، ولولا ذلك لم تتخلص هذه من هذه ، فكذلك يعرف بحكمك على موضع (يحرفون) بأن ارتفاعه بالصفة على أنها ليست مقامة مقام المبتدأ .... فأما قوله عزوجل : ﴿وإن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلاَّ لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ﴾ فالمعنى على (أحدٌ) ، وهو حسن ؛ لأنه ليس بفاعل»(٢١١) .

ومعنى نص الفارسى الأخير أنه لا يمنع حذف الموصوف فى هذه الحالة ، وإنما يمنع أن تقام الصفة مقامه فى وظيفته النحوية ، بل تظل الصفة على وظيفتها قبل الحذف ، لتكون دليلا على أن فى الجملة محذوفا .

والفراء على القول بحذف المبتدأ أيضا فى مثل هذه الآيات والجمل ، بيد أنه يقدّر المبتدأ : (مَنْ) ، « ويكون المعنى : من الذين هادوا من يحرفون الكلم ، وذلك من كلام العرب أن يضمروا (مَنْ) فى مبتدأ الكلام ، فيقولون : منا يقول ذلك ومنا لا يقوله ، وذلك أن (مِنْ) بعض لما هى منه ، فلذلك أدت عن المعنى المتروك»(٢١٢)

وهذا الموضع هو الذى نظمه ابن مالك فى قوله :

وما من المنعوت والنعت عُقل ... يجوز حذفه ، وفى النعت يقل

وقال فيه ابن هشام : « ويجوز بكثرة حذفُ المنعوت إن علم ، وكان النعت إما صالحا لمباشرة العامل ، نحو : ﴿أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ﴾ (٢١٣)، أى : دروعا سابغات ، أو بعض اسم مقدم مخفض بمِنْ أو (فى) ، فالأول كقولهم : مناظعن ومنا أقام ، أى : منّا فريق ظعن ومنا فريق أقام . والثانى كقوله :

لو قلت ما فى قومها لم تيثَمِ ... يفضلها فى حسب ومِيسَمِ(٢١٤)

ب - حذف الخبر إذا كان قولا ، وإبقاء معموله ؛ وقد أشار إلى ذلك مرتين :

---

(٢١١) البغداديات/ ٥٦٥ وما بعدها.

(٢١٢) معانى الفراء/ ١ : ٢٧١ ، وانظر : ٢٩٤ والبحر/ ٣ : ٢٦٢.

(٢١٣) سورة سبأ : آية ١١.

(٢١٤) أوضح المسالك/ ٣ : ٣١٨ ، وانظر : حاشية الصبان/ ٣ : ٧٠ ، ٧١ ، وشرح التصريح/ ٢ : ١١٨.

الأولى: فى قوله تعالى : ﴿ فأمّا الّذين اسودّت وجوههم أكفرتم بعد إيمانكم ﴾(٢١٥) حيث قال : «على: فيقال لهم : أكفرتم؟، مثل قوله : ﴿ والّذين اتّخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم ﴾(٢١٦) ، وهذا فى القرآن كثير»(٢١٧) .

الثانية: فى قوله تعالى : ﴿ وأمّا الّذين كفروا أفلم تكن آياتي تتلى عليكم ﴾(٢١٨) إذ قال : «أى : فيقال لهم أفلم تكن آياتى تتلى عليكم ، فدخلت الفاء لمكان أمّا»(٢١٩).

وحذف الخبر فى مثل هذا الموقع ليس مما اختص به الأخفش ، فقد أجاز ذلك العلماءُ من قبله ومن بعده كسيبويه ، والفراء ، والزجاج ، والنحاس ، والزمخشرى ، وأبى حيان(٢٢٠) .

أما فى غير الموضعين السابقين فقد كان حديث الأخفش عن حذف المبتدأ أو الخبر حديثا مرتبطا بالموقف ، أى وصفا لواقع النص المتناول ، دون تقعيد ، ومن ثم فكل ما تنوول فى هذا المجال هو من قبيل الحذف الجائز الذى قعّد له ابن مالك من بعد فى ألفيته حين قال :

وحذفُ ما يعلم جائزٌ ، كما ... تقول : (زيدٌ) بعد (من عندكما؟)
وفى جواب (كيف زيدٌ؟) قل (دَنِفْ) ... فزيدٌ استُغْنِىَ عنه إذ عُرف

فمن كلامه عن حذف الخبر ما يلى :

١- وقال الشاعر :

فياظبيةَ الوعساءِ بينَ جلاجلٍ ... وبين النَّقَا آأنت أم أمُّ سالمِ

(٢١٥) سورة آل عمران : آية ١٠٦.
(٢١٦) سورة الزمر : آية ٣.
(٢١٧) معانى القرآن/ ٢١١.
(٢١٨) سورة الجاثية : آية ٣١.
(٢١٩) معانى القرآن/ ٤٧٧.
(٢٢٠) راجع : الكتاب/ ٣ : ١٤٣ ، ومعانى الفراء/ ١ : ٢٢٨ ، ٢٢٩ ، ٢ : ٤١٤ ، ٣ : ٤٩ ، ومعانى الزجاج/ ١ : ٤٥٤ ، ٤ : ٣٤٤ ، ٤٣٥ ، وإعراب النحاس/٤ : ٤، ١٥٣ ، والكشاف/ ١: ٤٥٣، ٣: ٣٨٦ ، ٥١٣ ، والبحر / ٣ : ٢٢ ، ٨ : ٥١.

يريد ، أأنت أحسن أم أم سالم؟ ، فأضمر أحسن»(٢٢١) .

٢- في قوله تعالى : ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ نَزَّلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ ﴾(٢٢٢) قال : «فالخبر مضمر ، كأنه يقول : ذلك معلوم لهم بأن الله نزل الكتاب»(٢٢٣) .

٣- «كما قال : ﴿ فَمَن تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ ﴾(٢٢٤) ، أي : فعليه ما استيسر»(٢٢٥) .

٤- قال : ﴿ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ ﴾(٢٢٦) ، أي : فعليه فدية»(٢٢٧) .

٥- «وقال : ﴿ أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ ﴾(٢٢٨)، فهذا في المعنى : أفمن هو قائم على كل نفس مثلُ شركائكم ، وحذف فصار ﴿ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ ﴾ يدل عليه»(٢٢٩) .

٦- « وقال : ﴿ وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾(٢٣٠)، كأنه قال : ومما نقص عليكم مثل الذين كفروا، ثم أقبل يفسر ، كما قال : ﴿ مَّثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ ﴾(٢٣١) ، وهذا كثير»(٢٣٢) .

٧- «وقال : ﴿ مَن كَفَرَ بِاللَّهِ مِن بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ اللَّهِ ﴾(٢٣٣) خبر لقوله : ﴿ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ ﴾، ثم

---

(٢٢١) معاني الأخفش/ ٣٠ ، ٣١ ، ١٦٨.
(٢٢٢) سورة البقرة : آية ١٧٦ .
(٢٢٣) معاني القرآن/ ١٥٦.
(٢٢٤) سورة البقرة : آية ١٩٧ .
(٢٢٥) معاني القرآن/ ١٦٢ .
(٢٢٦) سورة البقرة : آية ١٩٦ .
(٢٢٧) معاني القرآن/ ١٦٣ .
(٢٢٨) سورة الرعد : آية ٣٣.
(٢٢٩) معاني القرآن/ ٣٧٣.
(٢٣٠) سورة البقرة : آية ١٧١ .
(٢٣١) سورة الرعد : آية ٣٥، وسورة محمد : آية ١٥ .
(٢٣٢) معاني القرآن/ ٣٧٤ ، ٣٧٥ .
(٢٣٣) سورة النحل : آية ١٠٦ .

دخل معه قوله : ﴿من كفر بالله من بعد إيمانه﴾ فأخبرهم بخبر واحد ، إذ كان ذلك يدل على المعنى»(٢٣٤) .

ومن حذف المبتدأ نقدم النماذج الآتية :

١- «وقال : ﴿وتركهم في ظلمات لا يبصرون * صم بكم عمي فهم لا يرجعون﴾(٢٣٥) فرفع على قوله : هم صم بكم عمى ، رفعه على الابتداء»(٢٣٦) .

٢- فى قوله تعالى : ﴿وقولوا حطةٌ﴾(٢٣٧) قال : «وهو شبيه بقولهم : سمعٌ وطاعةٌ ؛ فمنهم من يقول : سمعا وطاعة ، إذا جعله بدلا من : اسمع سمعا وأطعْ طاعة ، وإذا رفع فكأنه قال : أمرى سمعٌ وطاعةٌ»(٢٣٨) . وعلى الوتيرة نفسها وجه قوله تعالى : ﴿قالوا معذرةً إلى ربكم﴾(٢٣٩) برفع «معذرة»(٢٤٠) .

٣- وجه قوله تعالى : ﴿الحقُّ من ربك﴾(٢٤١) على أنه خبر لمبتدأ ، «كأنه قال: هو الحق من ربك»(٢٤٢) .

٤- «وقال : ﴿قد كان لكم آيةٌ في فئتين التقتا فئةٌ تقاتل في سبيل الله وأخرى كافرةٌ﴾ على الابتداء ، رفع كأنه قال : إحداهما فئة تقاتل فى سبيل الله ، وقرئت جرا على أول الكلام على البدل(٢٤٣) ، وذلك جائز ، قال الشاعر :

---

(٢٣٤) معاني القرآن/ ٣٨٥ ، وانظر نماذج أخرى فى صفحات : ١٣٨ ، ١٥٧ ، ١٥٨ ، ١٧٧.

(٢٣٥) سورة البقرة : آية : ١٧، ١٨.

(٢٣٦) معانى القرآن/ ٤٩.

(٢٣٧) سورة البقرة : آية ٥٨.

(٢٣٨) معانى القرآن/٩٦.

(٢٣٩) سورة الأعراف : آية ١٦٤ ، وقد قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر وحمزة والكسائى (معذرةٌ) بالرفع ، أما عاصم فروى عنه الرفع والنصب . راجع : السبعة/ ٢٩٦.

(٢٤٠) معانى القرآن/٩٧.

(٢٤١) سورة البقرة : آية ١٤٧.

(٢٤٢) معانى القرآن/ ١٥١ ، وانظر أيضا : ٢٠٦.

(٢٤٣) القراءة برفع (فئة) فى الآية الثالثة عشرة من سورة آل عمران قراءة الجمهور ، وقرأ بالجر الزهري ومجاهد ، كما روى بالنصب عن ابن أبى عبلة. المختصر/١٩.

وكنت كذى رجلين : رجلٌ صحيحةٌ ورجل بهـا رَيْبٌ من الحـدثان

فرفع ، ومنهم من يجر على البدل ، ومنهم من يرفع على : إحداها كذا ، وإحداهما كذا . وقال :

إنّ لها جارين لن يغدرا بها ربيبُ النبى وابن خير الخلائفِ

رفع ، والنصب على البدل»[٢٤٤] .

٥- «وقال أهل التأويل فى قوله : ﴿مَّاذا أنزل ربُّكُمْ قالُوا أساطِيرُ الأوَّلِين﴾[٢٤٥]: لأن الكفار جحدوا أن يكون ربهم أنزل شيئا ، فقالوا لهم : ما تقولون أنتم أساطير الأولين ، أى : الذى تقولون أنتم أساطيرُ الأولين ؛ ليس على «أنزل ربنا أساطير الأولين» ، وهذا المعنى فيما نرى - والله أعلم - كما قال : ﴿وإن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ﴾ [٢٤٦]، أى : فهم إخوانكم»[٢٤٧] .

وقد نسب البغدادى إلى الأخفش إجازة حذف المبتدأ إذا كان صدر صلة (ما) وقال : إنه قد حمل على ذلك قول الشاعر :

وجدنا الحمر من شرّ المطايا كما الحبطاتُ شرُّبنى تميم

قال : معناه : كالذين هم الحبطاتُ ، قال : وإن شئت جعلت (ما) زائدة وجررت (الحبطات) بالكاف[٢٤٨] .

والذى ورد فى (معانى القرآن) قول الأخفش : «وناسٌ من بنى تميم يقولون : (مثلا ما بعوضةٌ)[٢٤٩] يجعلون (ما) بمنزلة (الذى) ، ويضمرون (هو) ، كأنهم قالوا : لا يستحيى أن يضرب مثلا الذى هو بعوضةٌ ، يقول : لا يستحيى أن يضرب الذى هو بعوضةٌ مثلا»[٢٥٠] .

(٢٤٤) معانى القرآن/ ١٩٥ ، ١٩٦.
(٢٤٥) سورة النحل : آية ٢٤.
(٢٤٦) سورة البقرة : آية ٢٢٠.
(٢٤٧) معانى القرآن/ ١٧٢ ، ١٧٣ ، وانظر صفحات : ١٥٣ ، ١٥٩ ، ١٦٥ ، ١٩٧ ، ٣٢٩ .
(٢٤٨) راجع : الخزانة/ ١٠ : ٢٠٥ ، ٢٠٦ .
(٢٤٩) سورة البقرة: آية ٢٦ (فى قراءة) راجع البحر/ ١ : ١٢٣.
(٢٥٠) معانى القرآن/ ٥٣.

وما ذكره الأخفش ليس فيه دليلٌ على أن ذلك معتقده ؛ لأنه نسب اللهجة إلى أصحابها ، كما فعل بعد ذلك فى قول الله عزوجل : ﴿مَا هَذَا بَشَرًا﴾(٢٥١) حين قال: «وتميم ترفعه ؛ لأنه ليس من لغتهم أن يشبهوا (ما) بالفعل»(٢٥٢) .

فهل نعد حديثه هذا عن لهجة تميم فى (ما) مذهبا يرتضيه؟.

لا أظن الإجابة بالإيجاب ، ومن ثم يكون توجيه الأخفش للبيت الشعرى -الذى لم يرد فى معانيه - حملا على لهجة تميم ، فضلا عن أنه قدم تخريجا آخر أراه أولى التخريجين بالقبول .

كما روى ابن السراج فى (الأصول) ، وأبو على الفارسى فى (البغداديات) أن الخبر فى جملة (ما أحسنَ زيداً) مضمرٌ عند أبى الحسن الأخفش ؛ إذ يجعل (ما) موصولة ، وما بعد (ما) صلة لها(٢٥٣) .

وما فى (معانى القرآن) لا يتفق مع هذا المروى ، إن لم يكن مناقضا له، يقول: « ومثل (ما أحسن زيدا) ما ههنا وحدها اسم»(٢٥٤) ، فقوله : «ما ههنا وحدها اسم» معناه تفردها بالابتداء ، ومن ثم لا تحتاج لصلة ، فتكون الجملة بعدها هى الخبر ، وليس الخبر مضمرا ، كما روى عنه .

وعند تعرضه لقوله تعالى : ﴿ فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ﴾(٢٥٥) قال : «فزعم بعضهم أنه تعجب منهم ، كما قال : ﴿قُتِلَ الإِنسَانُ مَا أَكْفَرَهُ﴾(٢٥٦) تعجبا من كفره . وقال بعضهم : ﴿ فَمَا أَصْبَرَهُمْ ﴾ ، أى : ما أصبرهم ، وما الذى صبّرهم»(٢٥٧) .

---

(٢٥١) سورة يوسف : آية ٣١.
(٢٥٢) معانى القرآن/ ١٢٩.
(٢٥٣) راجع : الأصول/ ١ : ١٠ ، والبغداديات/ ١٦٩.
(٢٥٤) معانى القرآن/ ٣٨.
(٢٥٥) سورة البقرة : آية ١٧٥.
(٢٥٦) سورة عبس : آية ١٧.
(٢٥٧) معانى القرآن/ ١٥٥ ، ١٥٦.

وفى قوله تعالى : ﴿قُتِلَ الإنسانُ ما أَكْفَرَهُ﴾(٢٥٨) قال : «معناه على وجهين ، قال بعضهم : على التعجب ، وقال بعضهم : أى شىء أكفره؟»(٢٥٩) .

وحديث الأخفش فى تفسير الآيتين الأخيرتين واضح كل الوضوح ؛ فالجملة مكتملة ، سواء أكانت (ما) للتعجب أم كانت استفهامية ، فما بعد (ما) - على كلا التوجيهين - هو الخبر ، وهو ما يناقض ما رواه عنه ابن السراج وأبو على الفارسى.

بقيت فى هذا الموضوع ملحوظتان :

الملحوظة الأولى : أن الأخفش يجيز فى بعض الأساليب حذف الخبر مطلقا، فلا يكون للمبتدأ خبرٌ ، إلا فى المعنى . وقد ورد ذلك صريحا فى ثلاثة مواضع :

١- فى قوله تعالى : ﴿وعِبادُ الرَّحمنِ الَّذين يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْنًا وإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلامًا﴾(٢٦٠) قال : «فهذا ليس له خبر إلا فى المعنى - والله أعلم-»(٢٦١) .

٢- فى قوله تعالى : ﴿ أَفَمَن يَتَّقِي بِوَجْهِهِ سُوءَ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَقِيلَ لِلظَّالِمِينَ ذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ﴾(٢٦٢) قال : «فهذا لم يظهر له خبر فى اللفظ ، ولكن فى المعنى -والله أعلم - كأنه : أفمن يتقى بوجهه أفضل أم من لا يتقى»(٢٦٣).

٣- «وقال : ﴿ الَّذين يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ واستغنى بالأخبار التى فى القرآن» (٢٦٤) .

---

(٢٥٨) سورة عبس : آية ١٧ .
(٢٥٩) معانى القرآن/ ٥٢٨.
(٢٦٠) سورة الفرقان : آية ٦٣.
(٢٦١) معانى القرآن/ ٤٢٣.
(٢٦٢) سورة الزمر : آية ٢٤.
(٢٦٣) معانى القرآن/ ٤٥٦ ، وانظر : إعراب النحاس/ ٤ : ٩.
(٢٦٤) السابق/ ٤٩٥ ، وهى الآية ٢٤ من سورة الحديد.

وعن آية (الفرقان) قال النحاس : «وعباد الرحمن : رفع بالابتداء ، وقد أشكل على جماعة من النحويين هذا ، حتى قال الأخفش : هو مبتدأ بلا خبر ، يذهب إلى أنه محذوف . ورأيت أبا إسحاق قد جاء في هذا بما هو أولى من قول الأخفش هذا قال : عباد : مرفوعٌ بالابتداء ، و ﴿ الَّذين يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْنًا ﴾ من صفتهم ، و(الذين) الذى بعده عطف عليه ، والخبر : ﴿ أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الغُرْفَةَ ﴾(٢٦٥) . قال : ويجوز أن يكون الخبر : ﴿ الَّذين يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ ﴾»(٢٦٦) .

وقد أورد الزجاج رأييّه ، مغفلا رأى الأخفش تماما(٢٦٧) ، في حين ذكر فى آية (الزمر) رأيا لا يختلف عن رأي الأخفش ، فقال : «هذا مما جوابه محذوف ، المعنى : كمن يدخل الجنة»(٢٦٨) ، وطوّف فى معنى آية (الحديد) دون أن يقدم ألفاظا محددة فى توجيه إعراب الآية ، وإن فهم من أسلوبه كون ﴿ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ ﴾ تفسيرا لقوله ﴿ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾(٢٦٩) .

وقد مر الفراء على هذه الظاهرة فى آيتى (الفرقان) و (الحديد) مرور الكرام(٢٧٠) فى حين قال عن آية (الزمر) : «وجوابه من المضمر الذى ذكرتُ لك»(٢٧١) .

وقدم الزمخشرى في آية (الفرقان) الرأيين المنسوبين إلى الزجاج (٢٧٢)، وقال فى آية (الزمر) بحذف الخبر (٢٧٣) ، فى حين وجه آية (الحديد) على أن ﴿ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ ﴾ بدل من قوله : ﴿ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾(٢٧٤) .

أما أبو حيان فحدد الخبر فى سورة (الفرقان) بأنه ﴿ الذين يمشون ﴾ ، أو :

---

(٢٦٥) سورة الفرقان : آية ٧٥.
(٢٦٦) إعراب النحاس/ ٣ : ١٦٦ ، ١٦٧.
(٢٦٧) معانى الزجاج/ ٤ : ٧٤ ، ٧٥.
(٢٦٨) السابق/ ٤ : ٣٥٢.
(٢٦٩) السابق/ ٥ : ١٢٩، والنص القرآنى الأخير من الآية ٢٣ من سورة الحديد.
(٢٧٠) معانى الفراء/ ٢ : ٢٧١ ، ٢٧٢ ، ٣ : ١٣٦ .
(٢٧١) السابق/ ٢ : ٤١٨ .
(٢٧٢) الكشاف/ ٣ : ٩٩.
(٢٧٣) السابق/ ٣ : ٣٩٦.
(٢٧٤) السابق/ ٤ : ٦٦.

﴿أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ﴾(٢٧٥) ، وجعل الخبر فى آية (الزمر) محذوفا(٢٧٦) ، فى حين قدم فى آية (الحديد) أربعة تخريجات(٢٧٧) :

أ - أن يكون (الذين) خبرا لمبتدأ محذوف ، أى : هم الذين .

ب - أن يكون (الذين) مبتدأ محذوف الخبر ، على جهة الإبهام .

جـ- أن يكون (الذين) فى محل نصب ، على تقدير (أعنى) .

د- أن يكون صفة لـ(كل مختال فخور) ؛ لأن (مختال فخور) نكرة مخصصة.

وكل ما سبق مما قدمناه من آراء النحاة - حتى المقللين من قيمة رأى الأخفش- يدل على صحة المنحى الذى نحاه فى إمكان حذف الخبر ، فلا يكون للمبتدأ خبرٌ إلا فى المعنى ؛ لأن هذه القضية لا تختلف كثيرا عن مواضع الحذف السابقة ؛ فكله حذفٌ معتمدٌ على قرينة ، سواء أكانت القرينة موجودة فى الجملة التى حدث فيها حذف ، أم كانت مفهومة من المسرح اللغوى كله.

الملحوظة الثانية : أن الأخفش يستخدم مصطلح (إضمار الخبر) فى مواضع أخرى غير (خبر المبتدأ) ، فهو يعد من (الخبر) - مثلا - جواب الشرط ، ومن ذلك:

١- «وقال : ﴿الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ ، واستغنى بالأخبار التى فى القرآن ، كما قال : ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ﴾(٢٧٨) ، ولم يكن فى ذا الموضع خبر - والله أعلم بما ينزل - هو كما أنزل ، وكما أراد أن يكون»(٢٧٩) .

---

(٢٧٥) البحر/ ٦ : ٥١٢.
(٢٧٦) السابق/ ٧ : ٤٢٤.
(٢٧٧) السابق/ ٨ : ٢٢٥ ، ٢٢٦ .
(٢٧٨) سورة الرعد : آية ٣١.
(٢٧٩) معانى القرآن/ ٤٩٥.

٢- «قسمٌ على : ﴿ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَاقِعٌ * فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ ﴾[٢٨٠] فأضمر الخبر ، والله أعلم»[٢٨١] .

٣- «قال : ﴿ أَرَأَيْتَ إِن كَانَ عَلَى الْهُدَىٰ ﴾ ، ثم قال : ﴿ أَرَأَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴾ فجعلها بدلا منها ، وجعل الخبر : ﴿ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَىٰ ﴾»[٢٨٢] .

وكأن المعنى العام للخبر - عند الأخفش - هو كل ما تمم الفائدة ، سواء أكان خبرا لمبتدأ ، أم جوابا لشرط ، أم غير ذلك .

(٢٨٠) سورة المرسلات : آية ٧، ٨.

(٢٨١) معانى القرآن/ ٥٢٢ .

(٢٨٢) السابق/ ٥٤١ ، والآيات هى أرقام ١١، ١٣، ١٤ من سورة العلق.

الفصل الثانى

النواســـخ

تعرض الأخفش للنواسخ التى تدخل على المبتدأ والخبر بحكم ورودها فى النص القرآنى ، بيد أن منها ما كان الحديث فيه غير متعمق ، مثل : كان وأخواتها ، والمشبهات بليس ، وكاد وأخواتها ، وما كان النقاش فيه واضحا بعض الوضوح ، مثل: لا النافية للجنس ، وظن وأخواتها ، وما كان الحديث فيه مبسوطا ، مثل : إن وأخواتها .

ونقدم فيما يلى تصورًا لنقاط كل باب على حدة ، غير مغفلين - كما تعودنا - الإشارة إلى ما نقله العلماء عن الأخفش سواء أكان فى (معانى القرآن) ما يصدقه أو يكذبه ، أم خلا منه الكتاب مطلقا .

كـان وأخواتها

لم يتعرض الأخفش إلا لخمسة من أفعال هذا الباب ، وهى : كان - ظلّ - دام - فتىء - برح . ولأن (كان) هى أم الباب اتسع مجال الحديث عنها بالقياس إلى غيرها الذى ورد ذكره فى سياق تصريف ، أو فى معرض دلالة .

وأول ما تعرض له الأخفش فى (كان) الناقصة هو اقتصارها على إشراب الجملة الاسمية معنى الزمن ، دون أن تكون لها علاقة بالحدث ؛ ففى حديثه عن قوله تعالى : ﴿ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴾(١) قال : «وأدخل (كان) ليخبر أنه كان فيما مضى ، كما تقول : ما أحسن ما كان عبدُ الله ، فأنت تعجب من عبد الله لا من كونه ، وإنما وقع التعجب فى اللفظ على كونه »(٢) .

---

(١) سورة البقرة : آية ١٠.

(٢) معانى القرآن/ ٤٠.

وهذه النظرة من الأخفش لدور « كان » فى الجملة نظرة سباقة فى زمنه ، فالمشهور فى معنى (النقصان) أن مثل هذه الأفعال لا يتم بها وبمرفوعها الكلام، بل تحتاج إلى المنصوب ، غير أن الأرجح أن يفسر النقصان بأنها ألفاظ فرغت من محتواها الأصلى ، وبذلك أصبحت تدل على نوع علاقة بين لفظين ، كالنفى فى قولنا : ليس الرجل حاضرا ، أو مجرد الزمن فى قولنا : كان محمدٌ حاضرا(٣) ؛ فجميع هذه النواسخ يفيد الزمن بعد أن فُرّغ من معنى الحدث ، « وجميعها إلا (كان) يضيف إلى معنى الزمن أحد معانى الجهة ، وأن بعضها لا يتصرف أبدا ، وأما ما تصرف منها فإنه ناقص التصرف »(٤) .

وفي مقابل (كان) الناقصة المفرغة من معنى الحدث توجد (كان) التامة الدالة على الحدث والزمن ، شأنها فى ذلك شأن جميع الأفعال ، ومن ثم تقتضى مرفوعا فقط يعرب فاعلا لها ، وقد تعرض الأخفش لهذا القسم من (كان) فى أكثر من موضع ، ومن ذلك :

فى قوله تعالى : ﴿ وإن كان ذُو عُسْرَةٍ فنظرةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ ﴾(٥) قال : «يقول : وإن كان ممن تقاضَوْن ذو عسرة فعليكم أن تنظروا إلى الميسرة ، وقال بعضهم : (فَنَظْرةٌ). وإن شئت لم تجعل لـ (كان) خبرا مضمرا ، وجعلت (كان) بمنزلة : وَقَعَ »(٦).

فى قوله تعالى : « إلاَّ أن تكُون تجارةٌ حاضرةٌ »(٧) قال : « أى : تقع تجارة حاضرةٌ »(٨) .

---

(٣) انظر : (ألفاظ المعانى وألفاظ الارتباط) في كتاب : فقه اللغة وخصائص العربية للمبارك/ ١٦٨ ، ١٦٩.

(٤) اللغة العربية : معناها ومبناها/ ١٣٠.

(٥) سورة البقرة : آية ٢٨٠ .

(٦) معانى القرآن/١٨٨.

(٧) سورة البقرة : آية ٢٨٢ وقراءة (تجارة) بالنصب قراءة عاصم ، وباقى السبعة بالرفع ، السبعة/ ١٩٣.

(٨) معانى القرآن/١٨٩.

فى قـوله تعـالى : ﴿ وإن كـان رجلٌ يورثُ كـلالةً ﴾(٩) قـال : «وإن شئت جعلت (كـان) يستغنى عن الخبـر ، نحـو : وقع ، وجعلت نصب (كـلالة) على الحـال ، أى : يُورث كلالة ، كما تقول : يُضرب قائما ، قال الشاعر فى (كان) التى لا خبر لها :

فدى لبنى ذُهْلِ بن شَيْبان ناقتى ... إذا كان يومٌ ذو كواكبَ أشهبُ (١٠)

فى قوله تعالى : « إلاَّ أن تكُونَ تجارةٌ عن تراضٍ منكُمْ »(١١) قال : «وتكون هى تقع فى المعنى ، وهى (كان) التى لا تحتاج إلى الخبر ، فلذلك رفع التجارة»(١٢).

فى قوله تعالى : ﴿ إن تكُ مثقال حبَّةٍ ﴾(١٣) قال : «ورفع بعضهم فجعلها (كان) الذى لا يحتاج إلى خبر»(١٤) .

وأهم القضايا التى تعرض لها الأخفش فى (كان) الناقصة :

١ - **مجىء اسم (كان) مصدرا مؤولا :** وقد تحقق ذلك فى قوله تعالى : ﴿ وما كَانَ قَولَهُمْ إلاَّ أن قَالُوا ﴾(١٥) ، ﴿ وما كَانَ جوابَ قَوْمِهِ إلاَّ أن قَالُوا ﴾(١٦) ، ﴿ مَا كَانَ للنَّبيِّ وَالَّذين آمَنُوا أن يَسْتَغْفِرُوا للْمُشْرِكين ﴾(١٧) ، ﴿ وما كَانَ لنفْسٍ أن تُؤمنَ إلاَّ بإذْنِ اللَّه ﴾(١٨) ، ﴿ أوَلَمْ يكُن لَّهُمْ آيَةً أن يعْلَمهُ ﴾(١٩) ، ﴿ مَا كَانَ حُجَّتَهُمْ إلاَّ أن قَالُوا ﴾(٢٠) والمصدر

---

(٩) سورة النساء : آية ١٢.

(١٠) معانى القرآن/ ٢٣٢ ، وانظر : إعراب النحاس/١ : ٤٤٠ ، ٤٤١.

(١١) سورة النساء : آية ٢٩ ، والقراءة بالرفع لابن كثير ونافع وأبى عمرو وابن عامر ، وقرأ حمزة والكسائى وعاصم بالنصب . السبعة/٢٣١.

(١٢) معانى القرآن/ ٢٣٤.

(١٣) سورة لقمان : آية ١٦ ، وقرأ نافع وحده (مثقالُ حبة) رفعا ، وباقى السبعة بالنصب. السبعة/ ٥١٣.

(١٤) معانى القرآن/٤٤٠.

(١٥) سورة آل عمران : آية ١٤٧.

(١٦) سورة الأعراف : آية ٨٢.

(١٧) سورة التوبة : آية ١١٣.

(١٨) سورة يونس : آية ١٠٠.

(١٩) سورة الشعراء : آية ١٩٧.

(٢٠) سورة الجاثية : آية ٢٥.

المؤول فى ذلك كله هو الاسم المؤخر لـ (كان) ، والخبر مقدم . وعلى الرغم من أن الأخفش أجاز رفع الأول على أن يكون هو الاسم ، ويكون المصدر المؤول هو الخبر ، مستشهدا على جواز ذلك بقول الشاعر :

لقد علم الأقوامُ ما كان داءَها ... بثهلان إلا الخزىُ ممن يقودها

قائلا : « وإن شئت : ما كان داؤها إلا الخزىَ» ، إلا أنه قال فى قوله : « أو لم يكن لهم آية أن يعلمه » ، و « ما كان حجتهم إلا أن قالوا » : « وقد يجوز الرفع ، وهو ضعيفٌ» ، وهذا يعنى ترجيحه اعتبار المصدر المؤول اسما متأخرا ، واعتبار السابق خبرا مقدما(٢١) .

٢ - **حذف (كان) واسمها جوازا ، وبقاء الخبر إذا دل عليه دليل :** وذلك فى قوله تعالى : ﴿ما كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾(٢٢) إذ قال : «أى : ولكن كان رسولَ الله وخاتم النبيين»(٢٣). وهذا هو ما ذهب إليه الفراء الكوفى معاصره قائلا : « ولو رفعت على : ولكن هو رسولُ الله ، كان صوابا ، وقد قرىء به، والوجه النصب»(٢٤) .

٣ - **حذف (كان) وخبرها ، وبقاء الاسم :** وذلك فى قوله تعالى : ﴿وَقُولُوا حِطَّةٌ﴾(٢٥) إذ وجهه بقوله : « أى قولوا : لتكن منك حطةٌ لذنوبنا ، كما تقول للرجل: سمعُك إلىّ ، كأنهم قيل لهم : قولوا يارب لتكن منك حطة لذنوبنا »(٢٦) .

والأخفش متفرد فى هذه التوجيه لقراءة (حطة) ، والنحاة والمفسرون فى عصره وبعد عصره على إعرابها خبرا لمبتدأ محذوف ، ومنهم الفراء ، والزجاج ،

---

(٢١) راجع : معانى القرآن/٢١٧ ، ٣٣٨ ، ٤٢٧.
(٢٢) سورة الأحزاب : آية ٤٠.
(٢٣) معانى القرآن/ ٤٤٣.
(٢٤) معانى الفراء/ ٢ : ٣٤٤ ، وانظر إعراب النحاس/ ٣ : ٣١٧ ، وقراءة رفع (رسول) لزيد بن على وابن أبى عبلة كما فى البحر/ ٧ : ٢٣٦.
(٢٥) سورة البقرة : آية ٥٨.
(٢٦) معانى القرآن/ ٩٦.

والنحاس، والزمخشرى، والعكبرى[٢٧]، بل ذهب إلى ذلك سيبويه فى قوله تعالى: « قَالُوا مَعْذِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّكُمْ »[٢٨].

لكن حديث الأخفش نفسه فى الصفحة نفسها يكادُ يكون عدولا إلى الرأى الذى قال به جمهور النحاة حيث قال: « وهو شبيهٌ بقولهم: سمعٌ وطاعة، فمنهم من يقول: سمعا وطاعة، إذا جعله بدلا من: اسمع سمعا وأطع طاعة، وإذا رفع فكأنه قال: أمرى سمعٌ وطاعةٌ».

٤ - **جواز تقدم خبر كان على اسمها إذ لم يكن هناك مانع**: وقد لمس هذه القضية لمسًا رقيقا فى قوله تعالى: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾[٢٩] إذ قال: « أحد: هو الاسم، وكفوا: هو الخبر »[٣٠].

وقد ذكر النحاس هذا الرأى السابق، وقال: « وفى نصب (كفوا) قول آخر ما علمت أن أحدا من النحويين ذكره، وهو أن يكون منصوبا على أنه نعت نكرة متقدم فنصب على الحال، كما تقول: جاءنى مسرعا رجلٌ، وكما قال:

★ لِمَيَّةَ مُوحشاً طلَلُ ★ »[٣١]

وقد وضح النحاس برأيه هذا ما أورده الفراء من قبل فى (معانى القرآن) مبهما غير واضح المعالم إذ قال: «وإذا كان فعل النكرة بعدها أتبعها فى (كان) وأخواتها، فتقول: لم يكون لعبد الله أحدٌ نظيرٌ، فإذا قدمت النظير نصبوه، ولم يختلفوا فيه، فقالوا: لم يكن لعبد الله نظيرا أحدٌ، وذلك أنه إذا كان بعدها فقد أتبع الاسم فى رفعه، فإذا تقدم فلم يكن قبله شىء يتبعه رجع إلى فعل (كان) فنصب»[٣٢].

---

(٢٧) راجع: معانى الفراء/ ١: ٣٨، ومعانى الزجاج/ ١: ١٣٩، وإعراب النحاس/١: ٢٢٨، والكشاف/ ١: ٢٨٣، وإملاء ما من به الرحمن/ ١: ٢٢.

(٢٨) الكتاب/ ١: ٣٢٠، وهى الآية ١٦٤ من سورة الأعراف. والقراءة بالرفع لابن كثير ونافع وأبى عمرو وابن عامر وحمزة والكسائى، وروى عن عاصم الرفع والنصب. السبعة/ ٢٩٦.

(٢٩) سورة الإخلاص: آية ٤.

(٣٠) معانى القرآن/٥٤٩.

(٣١) إعراب النحاس/ ٥: ٣١٢.

(٣٢) معانى الفراء/ ٣: ٢٩٩، ٣٠٠.

وذكر العكبرى فى الآية وجهين :

أولهما : كون (كفوا) خبرا ، و (له) حالا من (كفوا) .

والثانى : كون (له) خبرا ، و (كفوا) حالا من (أحد)[٣٣] .

هذه هى القضايا التى أوردها الأخفش حول (كان) الناقصة .

أما ما أورده حول بعض الأفعال الأخرى من أخوات (كان) فلا يَعدُو أربعَ نقاط:

١ - أن لغة العرب فى (دُمت) : دِمْت ، وهى قراءة ، مثل : مِتّ تموتُ ، جعله على فَعِلَ يَفْعَل ، ذكر ذلك فى قوله تعالى : ﴿إلاَّ ما دُمْتَ عَلَيْهِ قَائماً﴾[٣٤] .

٢ - يجوز فى (ظل) عند إسناده إلى ضمير رفع متحرك حذف عينه ونقل حركته إلى الظاء ، فيقال : ظِلْتُ ، كما قد تحذف العين دون نقل فتبقى الظاء مفتوحة ، فيقال : ظَلْتُ . ذكر هاتين اللغتين فى قوله تعالى : ﴿فَظَلْتُم تفكَّهُونَ﴾[٣٥].

٣ - أن (لا أبرح) بمعنى : لا أزال ، وذكر قول الشاعر :

وما برحوا حتى تهادتْ نساؤهم ... ببطحاءِ ذى قارٍ عيابَ اللطائمِ

أى : ما زالوا[٣٦] .

٤ - أن (تفتأ) بمعنى تزال ، ولذلك يقع عليه اليمين ، كأنهم قالوا : والله ما تزال تذكر يوسف ، وقد ذكر هذا فى قوله الله تعالى : ﴿ تاللَّه تَفْتأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ﴾[٣٧].

---

(٣٣) إملاء ما من به الرحمن/ ٢ : ١٦٠ ، وانظر : الكشاف/ ٤ : ٢٩٩ ، والبحر/ ٨ : ٥٢٨ ، ٥٢٩.

(٣٤) معانى القرآن/ ٢٠٧ ، وانظر : إعراب النحاس/١ : ٣٨٨ . والآية هى رقم ٧٥ من سورة آل عمران .

(٣٥) سورة الواقعة : آية ٦٥ ، وانظر : معانى القرآن/ ٢٣٦ ، ٢٣٧.

(٣٦) معانى القرآن/ ٣٩٨.

(٣٧) سورة يوسف : آية ٨٥ ، وانظر معانى القرآن/ ٣٦٨.

أما ما نسب إلى الأخفش مما ليس موجودا فى (معانى القرآن) فنذكر منه ما يلى :

١ - جواز تقديم خبر (ليس) عليها . ذكره ابن جنى فى (الخصائص) ناسبا هذا الرأى إلى البصريين جميعا ، مخصصا سيبويه والأخفش بالذكر(٣٨)، وهي مسألة خلافية ذكرها ابن الأنبارى فى المسألة الثامنة عشرة من (الإنصاف) ، ونسب هذا الرأى إلى البصريين(٣٩) .

٢ - زيادة الواو فى خبر (كان) ، « نحو قولهم : كان ولا مال له ، أى كان لا مال له ، ووجه جوازه عندى شبه خبر (كان) بالحال ، فجرى مجرى قولهم: جاءنى ولا ثوب عليه ، أى : جاءنى عاريا »(٤٠) ، نسبه إليه ابن جنى فى (الخصائص) ، وقبله قال ابن السراج : « وحكى الأخفش : كنت ومن يأتنى آته ، يجعلون الواو زائدة فى باب (كان) خاصة »(٤١) .

وإذا صحت رواية هذا الأسلوب عن الأخفش فإن فيه وجها يخرجه من باب الزيادة ، ولا يؤثر فى معنى الجملة ، وهو اعتبار (كان) تامة ، وتكون الواو واو الحال، ومن ثم تكون الجملة مطابقة لقولهم جاءنى ولا ثوب عليه وليست جارية مجراها فقط.

وقد نسَبَ إلى الأخفش زيادة الواو مطلقا ، موافقا فى ذلك الكوفيين ، ابنُ الأنبارى فى (الإنصاف) ، وابنُ هشام فى (المغنى) ، والبغدادىُّ فى (خزانة الأدب) ، وذكروا آيات وشواهد كثيرة تُخرَّج على هذا المذهب ، وأهمها - فى نظرنا - قول الله سبحانه وتعالى : ﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا ﴾(٤٢) على أن الواو الزائدة هى التى قبل (فتحت) ، وقيل : هى عاطفة ، والزائدة هى الواو فى ﴿ وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا ﴾(٤٣). وسر أهمية هذه الآية هى كونها الآية الوحيدة من كل ما

(٣٨) الخصائص/ ١ : ١٨٨.
(٣٩) الإنصاف/ ١٦٠ ، وانظر : شرح ابن عقيل/ ١٠٣ ، ١٠٤.
(٤٠) الخصائص/ ٢ : ٤٦٢.
(٤١) الأصول/ ٢ : ١٨٧.
(٤٢) سورة الزمر : آية ٧٣.
(٤٣) راجع : الإنصاف/ ٤٥٦ (مسألة ٦٤) ، والمغنى/ ٢ : ٣٥ ، والخزانة/ ١١ : ٤٥ ، ٦٠.

أوردوه ، التى حظيت بتعليق الأخفش عليها فى (معانى القرآن) ، فقال : « وقال : ﴿ حتىٰ إذا جاءوها وفتحت أبوابها ﴾، فيقال إن قوله : ﴿ وقال لهم خزنتها ﴾ فى معنى : قال لهم ، كأنه يلغى الواو ، وقد جاء فى الشعر شىء يشبه أن تكون الواو زائدة فيه ، قال :

فإذا وذلك يا كبيشةُ لم يكن ... إلا كَلِمّةِ حالمٍ بخيال

فيشبه أن يكون يريد : فإذا ذلك لم يكن . وقال بعضهم : فأضمر الخبر ، وإضمار الخبر أحسن فى الآية أيضا ، وهو فى الكلام كثير»(٤٤) .

وحديث الأخفش فى هذا النص يكاد يرفض زيادة الواو ؛ لأنه يعد إضمار جواب الشرط [سماه : إضمار الخبر ، كما سبق أن وضحنا] فى هذه الآية أحسن ؛ لأنه فى الكلام كثير . وهو قبل ذلك يعبر بقوله : « فيقال » ، « يشبه أن تكون الواو زائدة» ، وهذا يعنى أن الرأى ليس له ، وقد سبق له التعرض لآية (الزمر) فى أثناء تفسيره لسورة (البقرة) فنسب زيادة الواو إلى الحسن البصرى ، حيث قال : « وقد فسر الحسن : ﴿ حتىٰ إذا جاءوها وفتحت أبوابها وقال لهم خزنتها ﴾ على حذف الواو، وقال : معناها ﴿ وقال لهم خزنتها ﴾ ، فالواو فى هذا زائدة ، قال الشاعر :

فإذا وذلك يا كبيشة لم يكن ... إلا كَلِمّةِ حالمٍ بخيالِ

وقوله :

فإذا وذلك ليس إلا حينه ... وإذا مضى شىء كأن لم يفعلِ

كأنه زاد الواو ، أو جعل خبره مضمرا ، ونحو هذا مما خبره مضمر كثير»(٤٥)

ثم يقدم رأيه واضحا جليا فى أثناء تفسير سورة البقرة أيضا حيث يقول : «وقال : ﴿ ولو ترىٰ إذ الظالمون في غمرات الموت ﴾(٤٦)، فليس لهذا جواب ، وقال : ﴿ ولو يرى الذين ظلموا إذ يرون العذاب ﴾(٤٧) ، فجواب هذا إنما هو فى المعنى ، وهذا

---

(٤٤) معانى القرآن/ ٤٥٧ ، ٤٥٨ .
(٤٥) السابق/ ١٢٥ .
(٤٦) سورة الأنعام : آية ٩٣ .
(٤٧) سورة البقرة : آية ١٦٥ .

كثير ، وسنفسره كلما مررنا به ، إن شاء الله ، وزعموا أن هذا البيت ليس له جواب :

ودوّيةٍ قـفـرٍ تمـشّى نعـامُـهـا ... كمشى النصارى فى خفافِ الأَرَنْدَجِ

يريد : وربّ دوّية ، ثم لم يأت له بجواب .

وقال :

حـتى إذا أسلكوهم فى قـتـائدة ... شلاً كما تطرد الجمّالةُ الشُّرُدَا

فهذا ليس له جواب إلا فى المعنى . وزعموا أن هذا البيت :

فـإذا وذلك يا كـبـيـشـةُ لم يكن ... إلا كَلِمَّـةِ حـالم بخـيـالِ

قالوا : الواو فيه ليست بزائدة ، ولكن الخبر مضمر»(٤٨) .

ومعنى ما سبق كله أن زيادة الواو ليست من آراء الأخفش كما يتضح من أسلوبه ، وإن كانت من رواياته التى رواها عن بعض العرب ، فضلا عن أن تعامله مع هذه الظاهرة يميل إلى جانب الرفض أكثر من ميله إلى جانب القبول ؛ لأن هناك اتجاها عاما يمكن أن تدخل فيه هذه الأساليب ، وهو إمكان حذف الخبر أو الجواب إذا أمكن فهمه من السياق .

(٤٨) معانى القرآن/ ١٣٨.

المشبهات بـ (ليس)

تحدث الأخفش فى (معانى القرآن) عن ثلاثة أحرف من المشبهات بـ (ليس) فى أداء الوظيفة النحوية ؛ هى : ما ، لا ، لات . أما (إن) النافية فلم يتحدث عنها عاملة عمل (ليس) ، وإنما تحدث عنها باعتبارها نافية ، مثل (ما) ، سواء أدخلت على الأسماء أم الأفعال ، فيقول : « وأما (إن) الخفيفة فتكون فى معنى (ما) ، كقول الله عزوجل : ﴿إِنِ الْكَافِرُونَ إِلاَّ فِي غُرُورٍ﴾(٤٩) ، أى : ما الكافرون ، وقال : ﴿إِن كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ﴾(٥٠) ، أى : ما كان للرحمن ولد ، فأنا أول العابدين بأنه ليس للرحمن ولد، وقال بعضهم : ﴿فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ﴾ يقول : أنا أول من يغضب من دعائكم لله ولدا، يقول : عَبِدَ يَعْبَدُ عَبَدًا ، أى : غضب ، وقال : ﴿وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلاَّ قَلِيلاً﴾(٥١) ، فهى مكسورة أبدا إذا كانت فى معنى (ما) . وكذلك : ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّاهُمْ فِيمَا إِن مَّكَّنَّاكُمْ فِيهِ﴾(٥٢)و (إنْ) بمنزلة (ما) ، و (ما) التى قبلها بمنزلة الذى»(٥٣) .

وليس فى هذا النص حديث واضح عن وظيفة (إن) الإعرابية فى الجملة ، مما يمكن أن نعده تغافلا من الأخفش عن عدها فى النواسخ الحرفية المشبهة بـ(ليس) ، وبخاصة أننا لم نعثر فيما قرأناه من المصادر على رأى ينسب للأخفش قولا فى (إنْ) ، وهى على أية حال « إذا دخلت على الجملة الاسمية لم تعمل عند سيبويه والفراء ، وأجاز الكسائى والمبرد إعمالها عمل ليس»(٥٤) .

أما الحروف التى تحدث عنها الأخفش فهى :

---

(٤٩) سورة الملك : آية ٢٠.

(٥٠) سورة الزخرف : آية ٨١.

(٥١) سورة الإسراء : آية ٥٢.

(٥٢) سورة الأحقاف : آية ٢٦.

(٥٣) معانى القرآن/ ١١١، ١١٢ وانظر : ١١٨ ، ٤٧٣ ، ٤٧٧ .

(٥٤) مغنى اللبيب/ ١ : ٢٢ .

أولا : (ما) النافية : وسر عملها عنده هو تشبيهها بالفعل ، ومن ثم فتميم لا تعملها ؛ لأنه ليس من لغتهم أن يشبهوا (ما) بالفعل. وهى تعمل عنده عمل (ليس) بشروط :

١ – أن يحسن فى خبرها الباء ؛ « لأن كل مالا تحسن فيه الباء من خبر (ما) فهو رفعٌ ؛ لأن (ما) لا يشبه فى ذلك الموضع الفعل ، وإنما تشبه بالفعل فى الموضع الذى تحسن فيه الباء ، لأنها حينئذ تكون فى معنى (ليس) ، لا يشركها معه شىء» ، وكذا لا تعمل إذا انتقض خبرها بـ (إلا) ؛ لأن هذا موقع من مواقع الخبر لا يقبل الباء[٥٥] ، كما فى قوله تعالى : ﴿ فَمَا جَزَاءُ مَن يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنكُمْ إِلاَّ خِزْيٌ﴾[٥٦] ، وقوله عز من قائل : ﴿مَا هَذَا إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾[٥٧] ، وقوله سبحانه : ﴿وَمَا أَمْرُنَا إِلاَّ وَاحِدَةٌ﴾[٥٨] .

٢ – ألا تزاد بعدها (إنْ) : فإن زيدت بعدها (إن) لا تنصب الخبر ، قال : «وتزاد (إن) مع (ما) ، يقولون : ما إن كان كذا وكذا ، أى : ما كان كذا وكذا، وما إن هذا زيدٌ ، ولكنها تغيّر (ما) فلا ينصب بها الخبر ، وقال الشاعر :

وما إن طبُّنا جُبْنٌ، ولكنْ ... منايانا ودولة آخرينا»[٥٩]

ثانيا : (لا) النافية : وقد كان حديثه عنها موجزا جدا ، وركّز على كونها لا تعمل إلا فى نكرة ، أما إن دخلت على المعارف فلا تعمل عمل (ليس) ؛ قال فى قوله تعالى ﴿لا الشَّمْسُ يَنبَغِي لَهَا أَن تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ ﴾[٦٠] : «فأدخل (لا) لمعنى النفى ، ولكن لا ينصب ما بعدها ، إلا أن يكون نكرة ، مثل قولك : ﴿وَلَا أَنتُمْ

(٥٥) معانى القرآن/ ١٢٩ وراجع أيضا : ١٣٩.
(٥٦) سورة البقرة : آية ٨٥.
(٥٧) سورة المؤمنون : آية ٢٤.
(٥٨) سورة القمر : آية ٥٠.
(٥٩) معانى القرآن/ ١١٢.
(٦٠) سورة يس : آية ٤٠.

عَابِدُونَ﴾(٦١) . وفى قوله تعالى : ﴿ولا أنتم عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾(٦٢) قال : « لأن (لا) تجرى مجرى (ما) فرفعت على خبر الابتداء »(٦٣) .

وأود التنبيه إلى أن كلامه السابق كله يمكن أن ينصرف إلى الحديث عن (لا) النافية للجنس ، ويكون قصده بالنصب نصب المحل إن كان ما بعدها مبنيا ، أو النصب الحقيقى إن كان معربا ، وبهذا الفهم يكون الأخفش قد أغفل الحديث عن (لا) العاملة عمل (ليس) ، كما أغفل الحديث عن (إنْ) النافية .

ثالثا : لاتَ - وعنها قال إنها تشبه بـ (ليس) ، ولا تكون إلا مع (حين) ، ويحذف معها أحد الركنين ، وجاء ما بعدها - فى الشعر - مجرورا مع حذف لفظ الحين. وقد حدد كل ذلك فى نص واحد عند تعرضه لقوله تعالى : ﴿وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ﴾(٦٤) حيث قال : « فشبهوا (لات) بـ (ليس) ، وأضمروا فيها اسم الفاعل ، ولا تكون (لات) إلا مع (حين) . ورفع بعضهم «وَلَاتَ حِينُ مَنَاصٍ » فجعله فى قوله مثل (ليس)، كأنه قال : ليس أحدٌ ، وأضمر الخبر ، وفى الشعر :

طلبوا صلحنا ولات أوانٍ ... فأجبنا أنْ ليس حينَ بقاءِ

فجر (أوان) ، وحذف ، وأضمر الحين ، وأضافه إلى (أوان) ؛ لأن (لات) لا تكون إلا مع الحين»(٦٥) .

وبالنص السابق - وهو غاية فى الوضوح والصراحة - يندفع ما نسب إلى الأخفش من أن (لات) لا تعمل شيئا ، فإن وليها مرفوعٌ فهو مبتدأ خبره محذوف ، أو منصوب فمفعولٌ بفعل محذوف ، والتقدير على الرفع : ولا حينُ مناص كائنٌ لهم ،

---

(٦١) معانى القرآن/٤٤٩.
(٦٢) سورة الكافرون : آية ٣ ، ٥ .
(٦٣) معانى القرآن/ ٥٤٧.
(٦٤) سورة ص : آية ٣.
(٦٥) معانى القرآن/ ٤٥٣، ٤٥٤ ، وانظر : إعراب النحاس/ ٣ : ٤٥٣ ، ٤٥٤ ، والخزانة/ ٤ : ١٨٨.

وعلى النصب : لا أرى حين مناص ، أو ما نسب إليه - فى قول آخر - من أنها تعمل عمل (إنّ) فتنصب الاسم وترفع الخبر »[٦٦] .

فالأخفش - كما يتضح من قوله - مع الجمهور الذين يعملون (لات) عمل (ليس) ، ولا يذكرون بعدها إلا أحد معموليها ، ولا يعملونها إلا فى لفظ الحين .

---

(٦٦) راجع : الأصول/ ١ : ٩٧ ، والمغني ١ : ٢٠٤ ، والخزانة/ ٤ : ١٧٣.

كاد وأخوتها

لا ينتظر أن يتحدث الأخفش فى (معانى القرآن) عن كل الأفعال التى تدخل تحت هذا العنوان ؛ لأن الحديث مرتبط بالنص القرآنى ، وجل أفعال هذا الباب لا وجود لها فيه ، فلم ترد منها سوى كاد ، وعسى ، وطفق ، وكل فعل منها يمثل قسما من أقسام هذه الأفعال ؛ فكاد للمقاربة ، وعسى للرجاء ، وطفق للشروع .

ولقد جاء حديثه عن (طفق) فى موضعين :

★ الموضع الأول فى قوله تعالى : ﴿ وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ ﴾(٦٧) حيث قدم لُغَتَىْ هذا الفعل ، فقال : « وقال بعضهم : (وطفَقا) ؛ فمن قال : طَفَق قال: يطفِقُ ، ومن قال : طَفِقَ قال : يَطْفَق »(٦٨) .

★ الموضع الثانى فى قوله تعالى : ﴿ فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ ﴾(٦٩) إذ قال: « يمسح مسحا »(٧٠) ، وهذا يعنى - فيما يعنيه - اشتراط كون خبر هذه الأفعال جملة فعلية فعلها مضارع ، ورفض كونه اسما مفردا .

أما حديثه عن (عسى) فتركز فى قضيتين اثنتين :

★ **الأولى :** أن (عسى) الدالة على الرجاء ، إذا صدرت من عند الله فهى واجبة ، قال ذلك فى قوله تعالى ﴿ عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ ﴾ (٧١) ، و ﴿ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ ﴾(٧٢) ، « والمعنى أنك لو علمت من رجل أنه لا يدع شيئاً هو أحسن من

---

(٦٧) سورة الأعراف : آية ٢٢ .

(٦٨) معانى القرآن/ ٢٩٦ . وقراءة طفق بفتح الفاء منسوبة لأبى السمال فى البحر المحيط/ ٤ : ٢٨٠ ، والكشاف/ ٢ : ٧٣. أما كسر الفاء فقراءة الجمهور . راجع أيضا : معانى الزجاج/ ٢ : ٣٢٧، وإعراب النحاس/ ٢ : ١١٩ .

(٦٩) سورة ص : آية ٣٣.

(٧٠) معانى القرآن/ ٤٥٤ ، وانظر : الكشاف/ ٣ : ٣٧٤.

(٧١) سوة الإسراء : آية ٧٩.

(٧٢) سورة التحريم : آية ٨.

شيء يأتيه ، فقال لك : عسى أن أكافئك ، استبنت بعلمك به أنه سيفعل الذى يجب، إذ كان لا يدع شيئاً هو أحسن من شئ يأتيه»(٧٣) . وهذا بحث فى دلالة (عسى) ، لا فى تركيبها .

* **الثانية :** فى مدخول (عسى) ، وهو الفعل المضارع المقترن بـ (أن) ، ومع أنه فى تقدير الاسم ؛ لأنه مصدر مؤول ، فإن ذلك لا يعنى أن يحل محله الاسم ، حتى لا يحدث اللبس . وقد قدم هذه القضية فى موضعين :

١ - فى حديثه عن أن إظهار (أن) فى كل موضع أضمر فيه من الفاء لا يجوز، حيث قال : «كما لا يجوز فى قولك (عسى أن تفعل) : عسى الفعل ، ولا فى قولك (ما كان ليفعل) : ما كان لأن يفعل ، ولا إظهار الاسم الذى فى قولك : نعم رجلاً ، فرب ضمير لا يظهر ؛ لأن الكلام إنما وضع على أن يضمر ، فإذا ظهر كان ذلك على غير ما وضع فى اللفظ ، فيدخله اللبس»(٧٤).

٢ - فى حديثه عن قوله تعالى : ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ﴾(٧٥) قال : « وأوقعت (عسيتم) على (أن تفسدوا) ؛ لأنه اسم ، ولا يكون أن تعمل فيه (عسيتم) ولا (عسيت) إلا وفيه (أن) ، لا تقول : عسيتم الفعل ، كما أن قولك : لو أن زيداً جاء كان خيراً له ، فقولك (أن زيداً جاء) اسم ، وأنت لا تقول : لو ذاك ، لأنه ليس كل الأسماء تقع فى كل موضع ، وليس كل الأفعال تقع على كل الأسماء »(٧٦) .

هذا ما ورد عن (عسى) فى (معانى القرآن) ، ولم يرد فيه حديث عن استعارة ضمير النصب مكان ضمير الرفع فى (عسانى) مع بقاء (عسى) على عملها ، وهو ما نسبه الرضى إلى الأخفش(٧٧) .

---

(٧٣) معانى القرآن/ ٢٩٢.
(٧٤) السابق/ ٦٦ ، ٦٧.
(٧٥) سورة محمد : آية ٢٢ .
(٧٦) معانى القرآن/ ٤٨٠.
(٧٧) خزانة الأدب/ ٥ : ٣٥٠ .

تتبقى (كاد) – أم الباب – ، وأهم قضية قدمها الأخفش في (كاد) هى مجىء (أكاد) بمعنى (أريد) مفتقدة بذلك الدلالة علي المقاربة، كما قد تأتى (أريد) بمعنى (أكاد) ؛ ففى قوله تعالى : ﴿إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا﴾(٧٨) قال : «وزعموا أن تفسير (أكاد) : أريد ، وأنها لغة ؛ لأن (أريد) قد تجعل مكان (أكاد) ، مثل : ﴿جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ﴾(٧٩) ، أى : يكاد أن ينقض ، فكذلك (أكاد) إنما هى (أريد) قال الشاعر :

كــادت وكــدت وتلك خـــيــر إرادة لو عاد من لهو الصبابة ما مضى»(٨٠)

وفى قــوله تعــالى :« تكاد السمــوات يَنْفَطِرْنَ منه»(٨١) ، وهى قــراءة فى الآية التسعين من سورة مريم ، قال : « فالمعنى يردن ، لأنهن لا يكنّ أن ينفطرن ، ولا يدنون من ذلك ، ولكنهن هممن به إعظاما لقول المشركين ، ولا يكون على من هم بالشئ أن يدنو منه . ألا ترى أن رجلاً لو أراد أن ينال السماء لم يدن من ذلك ، وقد كانت منه إرادة »(٨٢) .

وليس قول الأخفش بمجئ (أكاد) بمعنى (أريد) مرضيا عند غيره ، فقد رفضه أبو حيان رفضاً صريحاً حين قال : « ولا حجة فى هذا البيت ، والمعروف أن الكيدودة مقاربة الشئ ، وهذه الجمل عند الجمهور من باب الاستعارة ، لبشاعة هذا القول ، أى : هذا حقه لو فهمت الجمادات قدره ، وهذا مهيع للعرب » ، وذكر أبو حيان أربعة شواهد شعرية على ذلك(٨٣) .

أما الفراء فقال فى قوله تعالى : ﴿ يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ﴾(٨٤) : « وذلك من كلام العرب أن يقولوا : الجدار يريد أن يسقط . ومثله قوله الله : ﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى

---

(٧٨) سورة طه : آية ١٥ .
(٧٩) سورة الكهف : آية ٧٧.
(٨٠) معانى القرآن/٣٧١.
(٨١) هى قراءة أبى عمرو ، وعاصم فى رواية. السبعة/٤١٢.
(٨٢) معانى القرآن/٤٠٥.
(٨٣) البحر/٦ : ٢١٨.
(٨٤) سورة الكهف : آية ٧٧.

الْغَضَبُ﴾[٨٥] ، والغضب لا يسكت ، إنما يسكت صاحبه ، وإنما معناه : سكن ، وقوله ﴿فَإِذَا عَزَمَ الأَمْرُ﴾[٨٦] ، وإنما يعزم الأمرَ أهلهُ ، وقد قال الشاعر :

إن دهراً يلفُّ شملى بِجُمْلٍ ... لَزمانٌ يهمُّ بالإحسان

وقال الآخر :

شكا إلىَّ جَمَلِى طولَ السُّرَى
صبراً جميلاً فكلانا مُبْتَلَى

والجمل لم يشك ، إنما تُكلم به على أنه لو نطق لقال ذلك[٨٧] ».

أما الموضعان الآخران اللذان تحدث فيهما عن (كاد) فليس منفردا فيهما ، لأن أحدهما متعلق بتوجيه إعرابى لآية وردت فيها (كاد) ، والثانى متعلق بمعنى (كاد) فى آية أخرى .

ففى قوله تعالى ، ﴿مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ﴾[٨٨] - التى قرئت (تزيغُ) أيضاً - قال : « وقال : (من بعدما كاد تزيغ قلوب) ، وقال بعضهم (يزيغ) ، جعل فى (كاد) و (كادت) اسماً مضمراً ، ورفع القلوب على (تزيغ) ، وإن شئت رفعتها على (كاد) وجعلت (تزيغ) حالا ، وإن شئت جعلته مشبهاً بكان فأضمرت فى (كاد) اسماً ، وجعلت (تزيغ قلوب) فى موضع الخبر[٨٩] ».

ظاهر الآية ملبس ، لأن الأصل فى أخبار هذا الباب أن تكون جملة فعلية ، فعلها مضارع رافع لضمير اسمها أو لسببيه[٩٠] ، وهذا ما لم يتحقق ظاهراً فى

---

(٨٥) سورة الأعراف : آية ١٥٤.
(٨٦) سورة محمد : آية ٢١.
(٨٧) معاني الفراء/٢:١٥٦ ، وانظر الكشاف/٢ : ٤٩٤.
(٨٨) سورة التوبة : آية ١١٧. وقراءة (يزيغ) بالياء لحمزة وحفص عن عاصم. وقرأ أبو بكر في رواية عن عاصم والباقون : (تزيغ) بالتاء. السبعة/٣١٩.
(٨٩) معانى القرآن/٣٣٨.
(٩٠) راجع- مثلاً- : أوضح المسالك/١ : ٣٠٤- ٣١٠ ، وشرح التصريح/ ١:٢٠٤-٢٠٦.

الآية ، ومن ثم احتاجت إلى التوجيه ، ولم يفصل الأخفش ما إذا كان التوجيه منصباً على قراءة (تزيغ) أو (يزيغ) ، وإنما قدم الاحتمالات التالية :

١ - أن يكون اسم (كاد) مضمراً (وهو المسمى بضمير الشأن) ، وتكون القلوب فاعل (تزيغ) .

٢ - أن تكون القلوب مرفوع (كاد) ، وجملة (تزيغ) حال .

٣ - أن تشبه بكان ، فيضمر في (كاد) الاسم ، ويجعل (تزيغ قلوب) في موضع الخبر.

وليس هناك فرق واضح بين التوجيه الأول والتوجيه الثالث ، فاسم (كاد) في التوجيهين مضمر ، و(قلوب) في المرتين فاعل (تزيغ) ، بيد أنه لم يصرح في التوجيه الأول بكون (تزيغ قلوب) خبراً . أما التوجيه الثاني فلعله يقصد به رفع القلوب بكاد على أنها اسم ، وجملة (تزيغ) خبر ، ويكون قوله بالحالية نحوا من قول الكوفيين إن خبر (كان) والمفعول الثاني لظن نَصْبٌ على الحال[٩١] ، أو لعله يقصد الحكم على (كاد) بالتمام ، وهو ما لم يقل به أحد إلا في عسى واخلولق وأوشك ، إذا أسندت إلى (أن) والفعل[٩٢] .

وقد تعرض سيبويه من قبله لقراءة (تزيغ) فقط ، فأضمر في (كاد) ضمير الشأن ، وجعل (تزيغ قلوب) هي الخبر ، «وجاز هذا التفسير ، لأن معناه : كادت قلوب فريق منهم تزيغ[٩٣] ».

كما تعرض لها الفراء في معانيه ، وأضمر في (كاد) - على كلتا القراءتين - ضمير الشأن ، وجعل (تزيغ قلوب) - على القراءتين - هي الخبر[٩٤] ، فكان بذلك أكثر وضوحاً في الأسلوب وتحديداً في الإعراب من الأخفش .

---

(٩١) راجع : الإنصاف/ ٨٢١ - مسألة ١١٩.

(٩٢) راجع : شرح ابن عقيل/ ١٢٣، ١٢٤ ، والأشموني/ ١ : ٢٦٥ ، ٢٦٦.

(٩٣) الكتاب/ ١ : ٧١ ، وانظر : إعراب النحاس/ ٢ : ٢٣٨، ٢٣٩ ، والكشاف/ ٢ : ٢١٨.

(٩٤) معاني الفراء/ ١ : ٤٥٤.

أما أبو حيان ففصّل فى القراءات والتوجيه ؛ فقال : « وقرأ حمزة وحفص (يزيغ) بالياء ، فتعين أن يكون فى (كاد) ضمير الشأن ، وارتفاع قلوب بتزيغ [كذا ، وصوابها بيزيغ]، لامتناع أن يكون (قلوب) اسم (كاد) ، و(تزيغ) [كذا وصوابها يزيغ] فى موضع الخبر ، لأن النية به التأخير ، ولا يجوز : من بعد ما كاد قلوب يزيغ بالياء . وقرأ باقى السبعة بالتاء فاحتمل أن يكون (قلوب) اسم (كاد) ، و (تزيغ) الخبر ، وُسّط بينهما كما فعل ذلك بكان ، قال أبو على : ولا يجوز ذلك فى (عسى). واحتمل أن يكون فاعل (كاد) ضميراً يعود على الجمع الذى يقتضيه ذكر المهاجرين والأنصار ، أى من بعد ما كاد هو ، أى الجمع ، وقد قدر المرفوعَ بكاد باسم ظاهر -وهو القوم - ابنُ عطية وأبو البقاء ، كأنه قال : من بعد ما كاد القوم. وعلى كل واحد من هذه الأعاريب الثلاثة إشكال ، على ما تقرر فى علم النحو من أن خبر أفعال المقاربة لا يكون إلا مضارعاً رافعاً ضمير اسمها ، فبعضهم أطلق ، وبعضهم قيد بغير عسى من أفعال المقاربة ... إلى آخر ما قدم أبو حيان من اعتراضات ، منتهياً إلى مخرج من هذه الإشكالات ، هو « اعتقاد كون (كاد) زائدة ، ومعناها مراد، ولا عمل لها إذ ذاك فى اسم ولا خبر ، فتكون مثل (كان) إذا زيدت يراد معناها ولا عمل لها ، ويؤيد هذا التأويل قراءة ابن مسعود : (من بعد مازاغت) بإسقاط (كاد) . وقد ذهب الكوفيون إلى زيادتها فى قوله تعالى: ﴿لَمْ يكَدْ يراها﴾(٩٥) مع تأثيرها للعامل وعملها هى ، فأحرى أن يدعى زيادتها وهى ليست عاملة ولا معمولة(٩٦) ».

وإذا ما نظرنا فى التوجيهات السابقة جميعاً مقارنة بتوجيهات الأخفش وجدناه منفردا بالوجه الثانى من أعاريبه، وهو ما لم يقل به نحوى آخر ، فيما أعلم.

وفى قوله تعالى : ﴿إذا أخْرَجَ يدَهُ لَمْ يَكدْ يراها﴾(٩٧) قال الأخفش : إن فيه حملاً على المعنى ، «وذلك أنه لا يراها ، وذلك أنك إذا قلت : كاد يفعل ، إنما تعنى: قارب الفعل ولم يفعل ، فإذا قلت : لم يكد يفعل ، كان المعنى : أنه لم يقارب الفعل

---

(٩٥) سورة النور : آية ٤٠ .

(٩٦) البحر/ ٥ : ١٠٩ ، وانظر : إملاء ما من به الرحمن/٢ : ١٣ .

(٩٧) سورة النور : آية ٤٠ .

ولم يفعل ، على صحة الكلام . وهكذا معنى الآية ، إلا أن اللغة قد أجازت : لم يكد يفعل ، فى معنى فُعل بعد شدة ، وليس هذا صحة الكلام ، أنه إذا قال كاد يفعل ، فإنما يعني : قارب الفعل ، وإذا قال : لم يكد يفعل ، يقول : لم يقارب الفعل ، إلا أن اللغة جاءت على ما فسرت لك ، وليس هو على صحة الكلمة[٩٨] ».

وليس القول بحمل هذه الآية على المعنى ، فيكون المراد أنه لا يراها ، مقصوراً على الأخفش ، فقد نقل الفراء هذا الرأى عن بعض المفسرين وارتضاه[٩٩]، وكذلك ذهب هذا المذهب الزجاج والمبرد[١٠٠] ، وإن كان كل من الفراء والزجاج قد نقلا رأيا آخر هو كون الآية مثلاً ضربه الله ، فهو يراها ، ولكنه لا يراها إلا بطيئاً ، وإن رجحا الأول .

وقد روى أبو حيان أن الكوفيين يذهبون إلى زيادتها فى هذه الآية[١٠١] ، ثم قال فى موضع آخر : « وقول من اعتقد زيادة (يكد) أو أنه يراها بعد عُسْرٍ ليس بصحيح . والزيادة قول ابن الأنبارى ، وأنه لم يرها إلا بعد الجهد قول المبرد والفراء[١٠٢] ».

وما نسبه إلى المبرد لا أصل له فى (المقتضب) ، فنصه : « فأما قول الله عز وجل : ﴿إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا﴾ فمعناه - والله أعلم - لم يرها ولم يكد ، أى : لم يدن من رؤيتها[١٠٣] » . وأما الفراء فقد حكى الرأى ولم يأخذ به ، قال : «ثم قال: ﴿إذا أخرج يده لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا﴾ فقال بعض المفسرين : لا يراها ، وهو المعنى ؛ لأن أقل من الظلمات التي وصفها الله لا يرى فيها الناظر كفه . وقال

---

(٩٨) معانى القرآن/٣٠٤، ٣٠٥.
(٩٩) معانى الفراء/٢ : ٢٥٥ .
(١٠٠) راجع : معانى الزجاج/ ٤ :٤٨ ، والمقتضب/ ٣ :٧٥.
(١٠١) البحر/٥ : ١٠٩.
(١٠٢) السابق/٦ : ٤٦٢ ، وانظر/ ١ :٢٥٨.
(١٠٣) المقتضب/ ٣ : ٧٥.

بعضهم : إنما هو مثل ضربه الله فهو يراها ، ولكنه لا يراها إلا بطيئاً ، كما تقول : ما كدت أبلغ إليك، وأنت قد بلغت ، وهو وجه فى العربية(١٠٤) ».

فقوله : « وهو المعنى » - فى الوجه الأول- يعنى استقراره عليه ، ثم تعبيره عن الوجه الثانى بقوله : « وهو وجه فى العربية » لا يعنى رضاه به ، ولا قبوله توجيه الآية على هذا الوجه .

ومعنى ما سبق كله أن رأى الأخفش فى توجيه آية النور رأى جمهور النحاة ، ومعهم جمهور البلاغيين(١٠٥) .

* * *

(١٠٤) معانى الفراء/ ٢ : ٢٥٥ .

(١٠٥) انظر : دلائل الإعجاز/ ١٨٢، ١٨٣ ، والتبيان/ ٦١ ، والبرهان/ ١٥٤ ، والمجيد/ ٨٧.

إن وأخواتها

يعد هذا الباب من الأبواب التى ناقش منها الأخفش قضايا كثيرة فى (معانى القرآن) ، ونقدم فيما يلى تصوراً لأهم النقاط .

العامل فى اسم إن وخبرها

يرى الأخفش أن (إن) تنصب الاسم وترفع الخبر، وهذا صريح نصه فى قوله: « فإنما رفع المبتدأ ابتداؤك إياه ، والابتداء هو الذى رفع الخبر فى قول بعضهم ، كما كانت (إنّ) تنصب الاسم وترفع الخبر ، كذلك رفع الابتداء الاسم والخبر(١٠٦)».

وهو بهذا القول يخالف الكوفيين الذى يذهبون إلى أن (إن) وأخواتها لا ترفع الخبر ، ويوافق البصريين القائلين بأنها ترفع الخبر ؛ لأنها أشبهت الفعل فكان لها مرفوع ومنصوب ، « إلا أن المنصوب ههنا قدم على المرفوع ؛ لأن عمل (إن) فرع ، وتقديم المنصوب على المرفوع فرع ، فألزموا الفرع الفرع ، أو لأن هذه الحروف لما أشبهت الفعل لفظاً ومعنى ألزموا فيها تقديم المنصوب على المرفوع ، ليُعلم أنها حروف أشبهت الأفعال ، وليست أفعالا ، وعدم التصرف فيها لا يدل على الحرفية ، لأن لنا أفعالاً لا تتصرف ، نحو : نعم ، وبئس ، وعسى ، وليس ، وفعل التعجب ، وحبذا(١٠٧) ».

همزة إن

أخذت همزة (إن) من حيث كسرها وفتحها حيزاً كبيراً من اهتمام الأخفش ، بحكم تعدد مرات ورودها فى القرآن الكريم . والحاكم لهمزة (إن) – عند الأخفش– قوله : : « لأن (إن) الثقيلة إذا كانت هى وما عملت فيه بمنزلة (ذاك) أو بمنزلة اسم فهى (أن) أبداً مفتوحة . وإن لم يحسن مكانها وما عملت فيه اسم فهى (إن) على

(١٠٦) معانى القرآن/٩.
(١٠٧) الإنصاف/ ١٧٨ – مسألة ٢٢.

الابتداء . ألا ترى إلى قوله : ﴿ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾(١٠٨)، يقول : اذكروا هذا . وقال : ﴿ فَلَوْلا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ لَلَبِثَ ﴾(١٠٩)؛ لأنه يحسن فى مكانه (لولا ذاك) . وكل ما حسن فيه (ذاك) أن تجعله مكان (أن) وما عملت فيه فهو (أن) . وإذا قلت : (يعلم إنك لرسوله) لم يحسن أن تقول : يعلم لذاك . فإن قلت : اطرح اللام أيضاً ، وقل : يعلم ذاك ، فاللام ليست مما عملت فيه (إن)»(١١٠) .

وهذا الضابط الذى قدمه الأخفش فى النص السابق هو الذى حكم كل النصوص التى ناقش فيها همزة (إن) . ويمكن أن نستخلص من مناقشاته ما يأتى :

أ - مواضع وجوب الكسر

١ - **إذا وقعت فى ابتداء الكلام** : ففى قوله تعالى : ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾(١١١) قال : « فكسر لأنه ا بتداء ، ولم يحمله على (لتعارفوا)(١١٢) » .

٢ - **إذا اقترن خبرها بلام الابتداء** : وذلك فى قوله : « وأما قول الشاعر :

ذاك وإنى على جارى لَذُوحَـدَبِ   أحنو عليه بما يُحْنَى على الجارِ

فإنما كسر (إن) لدخول اللام . قال الشاعر :

وأعلم علماً ليس بالظن أنه   إذا ذل مولى المرء فهو ذليلُ
وإن لسان المرء ما لم يكن له   حصاةٌ علي عوراته لدليل

فكسر الثانية ، لأن اللام بعدها(١١٣) ».

٣ - **إذا وقعت فى صدر جملة الصلة** : وقد قدم ذلك فى قوله تعالى : ﴿ وَآتَيْنَاهُ

---

(١٠٨) سورة البقرة : آية ٤٧، ١٢٢.
(١٠٩) سورة الصافات : آية ١٤٣، ١٤٤.
(١١٠) معانى القرآن/ ١٠٨ ، وانظر الأصول/ ١ : ٢٨١.
(١١١) سورة الحجرات : آية ١٣.
(١١٢) معانى القرآن/ ٤٨٢ ، وانظر : ١٥٣ ، ١٥٤.
(١١٣) معانى القرآن/ ٣١٩، ٣٢٠ ، وانظر : ١٠٨ ، ٢٧٤ ، ٤٤٤.

من الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ﴾[١١٤] ، فقال : « يريد : إن الذى مفاتحه ... و هذا موضع لا يبتدأ فيه أن[١١٥] ».

٤ - **إذا وقعت فى صدر جواب القسم :** ولم يكن تعبيره فى هذه النقطة إيجابياً ، ففى قوله تعالى : ﴿ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾[١١٦] قال : «ولعمرك – والله أعلم – : وعيشك ، إنما يريد به العُمر ، والعَمْر والعُمر لغتان[١١٧]».

٥ - **إذا وقعت فى بداية جملة مقول القول :** ويشترط فى هذه الحالة أن يكون القول على أصل استعماله ، أما فى لغة من يجرى القول مجرى الظن فتفتح همزة (أن) . قال : « قال تعالى . « فَنَادَتْهُ الْمَلائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ»[١١٨] ، لأنه كأنه قال : نادته الملائكة فقالت : (إن الله يبشرك) . وما بعد القول حكاية[١١٩] » ، « إلا فى لغة من أعمل القول من العرب كعمل الظن ، فذاك ينبغى أن يفتح أن »[١٢٠] .

٦ - **إذا وقعت فى بداية جملة الحال :** ففى قوله تعالى : ﴿إِلاَّ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ﴾[١٢١] قال : « فلم تكسر هذه من أجل اللام ، لو لم تكن فيها لكانت (إن) أيضاً ، لأنه لا يحسن أن تقول : ما أرسلنا قبلك إلا ذاك ، وذاك هو القصة . قال الشاعر :

ما أعطيانى ولا سألتهما   إلا وإنى لحاجزى كرمى

فلو ألقيت من هذه اللام أيضاً لكانت إن[١٢٢] ».

---

(١١٤) سورة القصص : آية ٧٦.
(١١٥) معانى القرآن/ ٤٣٤.
(١١٦) سورة الحجر : آية ٧٢.
(١١٧) معاني القرآن/ ٣٨٠.
(١١٨) سورة آل عمران : آية ٣٩ فى قراءة ابن عامر وحمزة كما فى السبعة/٢٠٥، والإتحاف/١٧٤
(١١٩) معانى القرآن/ ٢٠١ ، ٢٠٢.
(١٢٠) السابق/١٠٩ ، وانظر : ٤٣١.
(١٢١) سورة الفرقان : آية ٢٠.
(١٢٢) معانى القرآن/١٠٨ ، ١٠٩.

وهذه المواضع الستة لوجوب كسر همزة (إن) هى التى نظمها ابن مالك من بعد فى قوله :

فاكسر فى الابتدا ، وفى بدء صله ... وحيث (إن) ليمين مكملة
أو حُكِيتْ بالقول ، أو حلّتْ محل ... حال ، كزرتُه وإنى ذو أمل
وكسروا من بعد فِعلٍ عُلّقا ... باللام ، كاعلمْ إنه لذوتقى

ب - مواضع وجوب الفتح

تقع مواضع وجوب فتح همزة (أن) كلها تحت مظلة واحدة هى إمكان أن تؤول هى واسمها وخبرها بمفرد يقوم بوظيفة نحوية من الوظائف التى يؤديها المفرد . ومن المواضع التى تعرض لها الأخفش :

١ - **إذا وقعت مجرورة بالحرف :** ففى قوله تعالى : ﴿ وكَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ(١٢٣) ﴾ قال : « أى لأنهم ، أو بأنهم ، وليس (أنهم) فى موضع مفعول ، ليس مثل قولك : (أأحقت أنهم) ، لو كان كذلك كان : أحقت أنهم(١٢٤) » ، « فإن طرح اللام وأشباهها من حروف الجر من (أن) أحسن ، ألا تراه يقول : أشهد أنك صادق ، إنما هو أشهد على ذلك(١٢٥) ».

٢ - **إذا وقعت مجرورة بالإضافة :** كما فى قوله تعالى : ﴿إِنَّهُ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ ﴾(١٢٦) ، «أى : لحق مثل أنكم تنطقون ، وزيادة (ما) فى القرآن والكلام نحو ذا كثير . قال :

لو بأبانين جاء يخطبها ... خُضِّبَ ما أنف خاطب بدم

أى : خضب بدمٍ أنف خاطب(١٢٧) ».

(١٢٣) سورة غافر : آية ٦.
(١٢٤) معانى القرآن/ ٤٦٠.
(١٢٥) السابق/ ١١٠ ، وانظر : ٢٠٥ ، ٢٢٣ ، ٤٣١.
(١٢٦) سورة الذاريات : آية ٢٣.
(١٢٧) معانى القرآن/ ١٣٥ ، ١٣٦.

٣ - **إذا وقعت بعد لو ولولا :** كما فى قوله تعالى : ﴿ تودُّ لو أنَّ بينها وبينه أمداً بعيداً ﴾[١٢٨]، وقوله عز من قائل: ﴿ فلولا أنه كان من المسبِّحين للبث في بطنه إلى يوم يبعثون ﴾[١٢٩] ، وقوله سبحانه : ﴿ ولو أنما في الأرض من شجرة أقلام ﴾[١٣٠].

٤ - **إذا وقعت فاعلا أو نائب فاعل :** ففى قوله تعالى : ﴿ قل أُوحي إليَّ أنه استمع نفر ﴾[١٣١] قال : « فألف (أنه) مفتوحة ؛ لأنه اسم[١٣٢] ».

٥ - **إذا وقعت بعد (لا جرم) :** « لأن قوله : ﴿ لا جرم أنَّ لهم النار ﴾[١٣٣] إنما هو: حق أن لهم النار ، قال الشاعر :

ولقد طعنت أبا عُيَيْنَة طعنةً ... جرمتْ فزارة بعدها أن يغضبوا

أى : حق لها[١٣٤] ».

٦ - **إذا وقعت تابعة لمفرد :** كأن تكون معطوفة عليه ، كما فى قوله تعالى: ﴿ ذلكم فذوقوه وأنَّ للكافرين عذاب النار ﴾[١٣٥] ، « كأنه قال : ذاك الأمر وهذا قوله، و(وأن للكافرين عذاب النار) تقع فى مكانه (هذا) ، وكذلك الأمر فى قوله تعالى : ﴿ ذلكم وأنَّ الله موهن كيد الكافرين ﴾[١٣٦]» .

أو بدلاً ، كما فى قوله تعالى : ﴿ وإذ يعدكم الله إحدى الطائفتين أنها لكم ﴾[١٣٧]، « فقوله (أنها) بدل من قوله : إحدى الطائفتين[١٣٨] » ، وكذلك فى قوله تعالى :

---

(١٢٨) سورة آل عمران : آية ٣٠.
(١٢٩) سورة الصافات : آية ١٤٣ ، ١٤٤.
(١٣٠) سورة لقمان : آية ٢٧. وانظر : معاني القرآن/ ١٠٨ ، ١٩٩ ، ٤٤٠.
(١٣١) سورة الجن : الآية الأولى.
(١٣٢) معانى القرآن/٥١١ ، وانظر : إعراب النحاس/٤ : ٢٦.
(١٣٣) سورة النحل : آية ٦٢.
(١٣٤) معانى القرآن/ ٢٥٠.
(١٣٥) سورة الأنفال : آية ١٤.
(١٣٦) معانى القرآن/ ١٠٩ ، ٣١٩ ، بتصرف ، والآية من سورة الأنفال : آية ١٨.
(١٣٧) سورة الأنفال : آية ٧.
(١٣٨) معانى القرآن/٣١٨.

﴿وقضينا إليه ذلك الأمر أنّ دابر هؤلاء ..﴾(١٣٩) ، ولأن قوله (أن دابر) بدل من (الأمر)(١٤٠)... »

وواضح أنه لا يقصد المفرد على إطلاقه ، وإنما المقصود هو المصدر المؤول ، «لأنه قد يسد المفرد مسدها ويجب كسرها ، نحو : ظننت زيداً إنه قائم ، فهذه يجب كسرها وإن سد مسدها مفرد ، لأنه فى موضع المفعول الثانى» – على حد تعبير ابن عقيل(١٤١) . ففى حديث الأخفش عن فتح الهمزة أو كسرها فى (إنما) ، وهى (إن) المكفوفة قال : « فإذا حسن مكانها (أن) فتحتها ، وإذا لم يحسن كسرتها . قال : ﴿إنّما أنا بَشرٌ مّثْلكُمْ يوحىٰ إليّ أنّما إلٰهكُمْ إلٰهٌ واحدٌ﴾(١٤٢) ، فالآخرة يحسن مكانها (أن) فتقول يوحى إلى أن إلهكم إلهٌ واحد . قال الشاعر :

أرانى ولا كفران لله إنما ... أؤاخى من الأقوام كل بخيل

لأنه لا يحسن ههنا (أن) ، لو قلت (أرانى أنى أؤاخى من الأقوام) لم يحسن . وقال :

أبلغ الحارث بن ظالم المُو ... عِدَ والناذرَ النذورَ عليّا
أنما تقتل النيامَ ولا تقْـ ... ـتُلُ يقظان ذا سلاح كَميّا

فحسن أن تقول : أنك تقتل النيام(١٤٣) ».

وأما المواضع التى يجوز فيها كسر همزة (إن) وفتحها فمحكومة بإمكان التوجيه على كلا الشكلين ، كما إذا وقعت بعد فاء الجزاء ، مثل قوله تعالى: ﴿أَنَّهُ من عمل منكُمْ سُوءًا بجهالةٍ ثُمّ تاب منْ بعْده وأصْلح فأنّهُ غفُورٌ رّحيمٌ﴾(١٤٤) ، فالكسر على

(١٣٩) سورة الحجر : آية ٦٦.
(١٤٠) معانى القرآن/ ٣٨٠ ، وانظر : إعراب النحاس/ ٢ : ٣٨٦.
(١٤١) شرح ابن عقيل/ ١٢٨.
(١٤٢) سورة الكهف : آية ١١٠.
(١٤٣) معانى القرآن/ ١١٠، ١١١.
(١٤٤) سورة الأنعام : آية ٥٤.

الابتداء ، والفتح على جعل المصدر المؤول مبتدأ ، خبره محذوف(١٤٥) .

ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ وَأَنَّهُ تَعَالَىٰ جَدُّ رَبِّنَا ﴾(١٤٦) ، فمن كسر (إن) جعله «على الابتداء ، إذا كان من كلام الجن . فإن فتح جعله على الوحى ، وهو حسن(١٤٧)» .

وواضح أن الأخفش فى هذا العصر المتقدم من تقعيد النحو قد قدم كل المواضع التى تحدث عنها المتأخرون من النحاة فى وجوب الكسر أو الفتح ، كما قدم الضابط الذى لا يتخلف فى جواز كسر الهمزة أو فتحها .

تخفيف ذوات النون

تحدث الأخفش فى (معانى القرآن) عن تخفيف ذوات النون فى هذا الباب ، وأعنى بذلك : إن ، وأن ، وكأن . أما (لكن) فلم يرد لها ذكر فى هذا الباب.

فعن (إنّ) يقول : « وتكون خفيفة فى معنى الثقيلة وهى مكسورة ، ولا تكون إلا وفى خبرها اللام ، يقولون . إنْ زيدٌ لمنطلقٌ ، ولا يقولونه بغير لام مخافة أن يلتبس بالتى معناها (ما) . وقد زعموا أن بعضهم يقول ، إنْ زيداً لمنطلق ، يعملها علي المعنى ، وهى مثل : « إن كُلُّ نفسٍ لَّما عَلَيْهَا حَافظٌ »(١٤٨) ، يقرأ بالنصب والرفع ، و(ما) زيادة للتوكيد ، واللام زيادة للتوكيد ، وهى التى فى قوله : ﴿ وَإِن كَانَ أَصْحَابُ الأَيْكَةِ لَظَالِمِينَ ﴾(١٤٩) ، ولكنها إنما وقعت على الفعل حين خففت ، كما تقع (لكن) على الفعل إذا خففت . ألا ترى أنك تقول : لكنْ قد قال ذاك زيد ، ولم يعروها من

---

(١٤٥) معانى القرآن/ ٢٧٥ ، ٢٧٦، وانظر : ١٢٤ ، ١٢٥ ، ١٥٣ ، ١٥٤ ، وإعراب النحاس/ ٢ :٦٩ ، والمقتضب/ ٢ : ٣٥٥.

(١٤٦) سورة الجن : آية ٣ .

(١٤٧) معاني القرآن/ ٥١١.

(١٤٨) سورة الطارق : آية ٤ فى قراءة تخفيف (لما)، وهى قراءة ابن كثير ونافع وأبى عمرو والكسائى. كما فى السبعة/٦٧٨.

(١٤٩) سورة الحجر : آية ٧٨.

اللام فى قوله : ﴿وإن كَانَ أَصْحَابُ الأَيْكَة لَظَالمين﴾ ، وعلى هذه اللغة فيما نرى -والله أعلم - : « إنْ هَذَان لَسَاحِرَان »[١٥٠] . وقد شددها قوم ، فقالوا ﴿إِنَّ هَذَان﴾ وهذا لا يكاد يعرف ، إلا أنهم يزعمون أن بلحارث بن كعب يجعلون الياء فى أشباه هذا ألفا، فيقولون : رأيت أخواك ، ورأيت الرجلان ، ووضعت علاه ، وذهبت إلاه ، فزعموا أنه على هذه اللغة بالتثقيل تقرأ[١٥١] ».

وخلاصة ما يفهم من النص السابق أن (إن) حين تُخَفّف تهمل ، وتلزمها اللام الفارقة بينها وبين (إن) النافية ، وهذه اللام للتوكيد ، وقد يعملها بعض العرب وهى مخففة . وعلى تخفيف (إن) وجه قراءة (إنْ هذان لساحران) بتخفيف (إن)[١٥٢] . أما قراءة التشديد فوجهها على لغة بلحارث بن كعب الذين يلزمون المثنى وما يلحق به الألف[١٥٣] .

ومن خلال النماذج التى قدمها لـ (إن) المهملة رأينا الفعل الناسخ هو الذى يليها ، كما فى ﴿وَإن يَكَادُ الَّذين كَفَرُوا لَيُزْلقُونك﴾[١٥٤] ، ﴿وإن كَانَ أَصْحَابُ الأَيْكَة لَظَالمينَ﴾[١٥٥]، كما تليها الجملة الاسمية فى قراءة « إنْ هذان لساحران[١٥٦] ».

وقد نسب إليه ابن هشام فى (المغنى) أنه يجيز أن يليها الفعل غير الناسخ ، مثل : إن قام لأنا ، وإن قعد لأنت ، ودون هذا أن يكون مضارعاً غير ناسخ ، مثل : إن يزينك لنفسك وإن يشينك لهيه[١٥٧] ، وهو ما لم أجد مصداقه فى (معانى

---

(١٥٠) سورة طه : آية ٦٣ .

(١٥١) معانى القرآن/١١٢ ، ١١٣.

(١٥٢) قرأ بتخفيف نون (إن) ابن كثير ، وحفص عن عاصم فى إحدى روايتيه ، مع ملاحظة أن ابن كثير يقرأ (هذان) بتشديد النون ، وقرأ أبو عمرو وحده : (إنّ) مشددة النون ، و (هذين) بالياء ، وباقى السبعة ومعهم عاصم فى رواية أبى بكر (إنّ هذان) بتشديد النون ، و(هذان) بنون خفيفة . السبعة/ ٤١٩.

(١٥٣) انظر أيضاً : معانى القرآن/٤٠٨ .

(١٥٤) سورة القلم : آية ٥١ .

(١٥٥) سورة الحجر : آية ٧٨ .

(١٥٦) سورة طه : آية ٦٣ .

(١٥٧) المغنى/ ١ : ٢٣ .

القرآن) ، ولا فيما نقله عنه أبو على الفارسى[158] .

وقد قدم الأخفش لغة إعمال (إن) المخففة فى ثلاثة مواضع ، ففى النص السابق قال : « وقد زعموا أن بعضهم يقول : إنْ زيداً لمنطلق : يعملها على المعنى» وفى موضع آخر يقول : « وقال أهل المدينة : (وإنْ كلا) خففوا (إن) وأعملوها كما تعمل (لم يك) وقد خففها من (يكن[159]) » وفى موضع ثالث يقول : « وقال بعضهم كأنْ ثَدْيَيْه ، فخففها وأعملها ولم يضمر فيها ، كما قال : ﴿إن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ﴾ ، أراد معنى الثقيلة ، فأعملها كما يعمل الثقيلة ، ولم يضمر فيها[160] ».

وهو بهذا الرأى الأخير فى إعمال (إن) المهملة ، مع قبيله من البصريين ، ويكاد فى آرائه المتناثرة تلك يقدم ما جمعه سيبويه فى كتابه حين قال : « واعلم أنهم يقولون : إنْ زيد لذاهب ، وإنْ عمروٌ لخيرٌ منك ، لما خففها جعلها بمنزلة (لكن) حين خففها ، وألزمها اللام لئلا تلتبس بـ (إنْ) التى هى بمنزلة (ما) التى تنفى بها . ومثل ذلك : «إن كُلُّ نفسٍ لَما عليها حافظٌ» ، إنما هى : لعليها حافظ ، وقال تعالى : « وَإن كُلٌ لَّما جَميعٌ لَّدينا مُحْضَرُونَ »[161] ، إنما هى (لجميع) ، و(ما) لغو. وقال تعالى : ﴿وإن وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ﴾[162]، ﴿وإن نَّظُنُّكَ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ﴾[163] وحدثنا من نثق به أنه سمع من العرب من يقول : إنْ عمراً لمنطلق ، وأهل المدينة يقرأون : «وَإنْ كُلاًّ لَّمَا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَالَهُمْ»[164]، يخففون وينصبون، كما قالوا :

★ كأن ثدييه حقان ★

---

(١٥٨) راجع : البغداديات/ ١٨٠ ، ١٨١.

(١٥٩) معانى القرآن/ ٣٥٩

(١٦٠) معانى القرآن/٣٤١ ، ٣٤٢.

(١٦١) سورة يس : آية ٣٢، فى قراءة تخفيف ميم لما، وهى لنافع وابن كثير، كما فى الإتحاف/٢٦٠.

(١٦٢) سورة الأعراف : آية ١٠٢.

(١٦٣) سورة الشعراء : آية ١٨٦.

(١٦٤) سورة هود : آية ١١١ فى قراءة تخفيم ميم لما، وهى لنافع وابن كثير كما فى السبعة/٣٣٩، والإتحاف/٢٦٠.

وذلك لأن الحرف بمنزلة الفعل ، فلما حذف من نفسه شئ لم يغير عمله ، كما لم يغير عمل لم يك ، ولم أُبَلْ ، حين حذف . وأما أكثرهم فأدخلوها فى حروف الابتداء حين حذفوا ، كما أدخلوها فى حروف الابتداء حين ضموا إليها (ما) »(١٦٥)

وفى موضع آخر يقول سيبويه : « و (إن) توكيد لقوله : زيد منطلق ، وإذا خففت فهى كذلك تؤكد ما يتكلم به ، وليثبت الكلام ، غير أن لام التوكيد تلزمها عوضا مما ذهب منها(١٦٦) ».

وعن (أن) يقول الأخفش : « وتكون خفيفة فى معنى الثقيلة ، فى مثل قوله : ﴿أن الْحمْدُ للّه﴾(١٦٧) ، و« أنْ لعْنةُ اللّه عليْه »(١٦٨) ، على قولك : أنّهُ لعنةُ الله ، وأنّهُ الحمدُ لله ، وهذه بمنزلة قولك : ﴿أفلا يرونْ ألاّ يرجعُ إليهِم قوْلاً﴾(١٦٩)، « وحسبُوا ألاّ تكُونُ فتْنةٌ »(١٧٠). ولكن هذه إذا خففت وهى إلى جنب الفعل لم يحسن إلا أن تكون معها (لا) حتى تكون عوضاً من ذهاب التثقيل والإضمار . ولا تعوض (لا) فى قوله:﴿ أن الْحمْدُ للّه ﴾ لأنها لا تكون - وهى خفيفة - عاملة فى الاسم ، وعوضتها (لا) إذا كانت مع الفعل ، لأنهم أرادوا أن يبينوا أنها لا تعمل فى هذا المكان ، وأنها ثقيلة فى المعنى (١٧١)».

وفحوى النص السابق أن (أن) إذا خففت بقيت على ما كان لها من العمل ، ويكون اسمها ضميراً محذوفاً ، وإذا كان خبرها جملة اسمية لم تحتج إلى فاصل ، «لأنها لا تكون - وهى خفيفة - عاملة فى الاسم» . أما إذا كانت فعلية « لم يحسن إلا أن تكون معها (لا) حتى تكون عوضاً عن ذهاب التثقيل والإضمار ».

---

(١٦٥) الكتاب/٢ : ١٣٩ ، ١٤٠.

(١٦٦) السابق/ ٤ : ٢٣٣.

(١٦٧) سورة يونس : آية ١٠.

(١٦٨) سورة النور : آية ٧، وتخفيف النون ساكنة ورفع (لعنة) قراءة نافع ويعقوب . راجع السبعة/٢٥٣، والإتحاف/٣٢٢.

(١٦٩) سورة طه : آية ٨٩.

(١٧٠) سورة المائدة : آية ٧١، وهى قراءة أبى عمرو وحمزة والكسائى كما فى السبعة/٢٤٧، والإتحاف/٢٠٢.

(١٧١) معاني القرآن/ ١١٤.

وقد قدم فى موضع آخر ضابطاً لـ (أن) بعد الأفعال القلبية، فقال : « وتقول: علمت أن لا تكرمُنى ، وحسبت أن لا تكرمُنى ، فهذا مثل ما ذكرت لك. فإنما صار (علمت) و (استيقنت) ما بعده رفع ، لأنه واجب . فلما كان واجباً لم يحسن أن يكون بعده (أن) التى تعمل فى الأفعال ، لأن تلك إنما تكون فى غير الواجب . ألا ترى أنك تقول : أريد أن تأتينى ، فلا يكون هذا إلا لأمر لم يقع . وارتفع ما بعد الظن وما أشبهه ، لأنه مشاكل للعلم ، لأنه يعلم بعض الشئ إذا كان يظنه . وأما : خشيت أن لا تكرمنى ، فهذا لم يقع ، ففى مثل هذا تعمل (أن) الخفيفة ، ولو رفعته على أمر قد استقر عندك وعرفته كأنك جربته فكان لا يكرمك ، فقلت : خشيت أن لا تكرمُنى ، أى : خشيت أنك لا تكرمنى(١٧٢) ».

ومعنى النص السابق أن (أن) تكون مخففة من الثقيلة بعد العلم ، والظن المشاكل للعلم ، والفعل بعدها رفع لأنه واجب ، « فلما كان واجباً لم يحسن أن يكون بعده (أن) التى تعمل فى الأفعال ، لأن تلك تكون فى غير الواجب » . أما الظن على حقيقته ، وغير الواجب على إطلاقه ، فتكون فيه (أن) مصدرية ناصبة ، لأنه لم يقع و (أن) الناصبة للفعل لا تكون إلا لأمر لم يقع(١٧٣) .

يتبقى حديثه عن (كأن) التى إذا خففت أضمر فيها اسمها ، كما يضمر فى (أن) ، ويخبر عنها بالجملة الاسمية ، أو بجملة فعلية مصدرة بـ (لم) . وفى بعض الروايات إعمالها مخففة فى اسمها مع رفع الخبر . يقول الأخفش : « وقال : ﴿ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَا إِلَىٰ ضُرٍّ مَّسَّهُ ﴾(١٧٤) و ﴿ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً ﴾(١٧٥)، وهذا فى الكلام كثير ، وهى (كأن) الثقيلة ، ولكنه أضمر فيها وخفف ، كما تخفف (أن) ويضمر فيها ، وإنما هى : (كأنه لم) . وقال الشاعر :

وَيْ كَـــأَنْ مَن يكن له نَشَبٌ يُحْـــ   ـبَبْ ومن يفتقرْ يعشْ عيشَ ضُرٍّ

---

(١٧٢) معانى القرآن/ ١٢٢ .

(١٧٣) راجع: معاني القرآن/ ١٢١ ، ٢٩٨، ٢٩٩ وانظر الكتاب/ ٣ : ١٦٥-١٦٨ .

(١٧٤) سورة يونس : آية ١٢ .

(١٧٥) سورة يونس : آية ٤٥ .

وكما قال :

* كأنْ ثدياه حقان *

أى : كأنه ثدياه حقان . وقال بعضهم : كأنْ ثدييه ، فخففها وأعملها ولم يضمر فيها(١٧٦) ».

ومعنى ما سبق كله أنه ليس للأخفش فى تخفيف هذه الحروف رأى يميزه عن رأي جمهور النحاة من البصريين .

لام الابتداء، أو اللام المزحلقة

هى لام تفيد التوكيد ، وهى مبنية على الفتح ، - وهو يعبر عن ذلك تارة بأنها مفتوحة(١٧٧) ، وتارة بأنها منصوبة(١٧٨)- ، وتدخل على اسم (إن) إذا كان بينها وبين (إن) فاصل ، كما تدخل على الخبر ، وتصرف (إن) إلى الابتداء ، ومن ثم توجب كسر همزتها . قال فى قوله تعالى : ﴿ وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ ﴾(١٧٩) » فهذه اللام لام التوكيد ، وهى منصوبة ، تقع على الاسم الذى تقع عليه (إن) إذا كان بينها وبين (إن) حشو نحو هذا ، هو مثل : إن فى الدار لزيدا . وتقع أيضاً فى خبر (إن) ، وتصرف (إن) إلى الابتداء ، تقول : أشهد إنه لظريف . قال الله عزوجل : ﴿ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ ﴾(١٨٠) ، وقال : ﴿ أَفَلا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ * وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ * إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ ﴾(١٨١)».

---

(١٧٦) معانى القرآن/٣٤١.

(١٧٧) معانى القرآن/٢٤٢.

(١٧٨) السابق/٢٧٤.

(١٧٩) سورة البقرة : آية ٧٤.

(١٨٠) سورة المنافقون : الآية الأولى.

(١٨١) معانى القرآن/ ١٠٧، ١٠٨والآيات الأخيرة فى النص هى أرقام ٩، ١٠، ١١ من سورة العاديات.

وهو يطلق على هذه اللام أحياناً لقب : (الزائدة) ، قال فى قوله تعالى : ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ﴾[182] : « بكسر (إن) لدخول اللام الزائدة بعدها[183] ».

ولعله يعنى بالزيادة أنها ليست ذات تأثير فى شكل مدخولها إعرابياً ، لأنى لا أعلم أحدا قبله ولا بعده أطلق على هذه اللام مصطلح (الزائدة) . أما اللام الزائدة فهى التى حددها ابن هشام بأنها الداخلة على خبر المبتدأ ، مثل :

أم الحليس لعجوزٌ شهربه

أو خبر (أن) المفتوحة ، كقراءة سعيد بن جبير : « إلا أنهم ليأكلون الطعام[184] » ، وفى خبر (لكن) ، مثل :

★ ولكننى من حبها لعميد[185] ★

وزيادة هذه اللام فى خبر (لكن) من المسائل الخلافية التى منعها البصريون وأجازها الكوفيون[186] .

وقد نسب ابن هشام فى (المغنى) إلى أبى الحسن إجازة دخول لام الابتداء على الخبر إذا كان جملة فعلية فعلها ماض جامد ، نحو : إن زيدا لعسى أن يقوم ، أو : لنعم الرجل ، لأن الجامد يشبه الاسم[187] . ولم أجد ما يؤيد ذلك فى (معانى القرآن) .

العطف على اسم إن وأخواتها

أما العطف بعد أن تستكمل (إن) ركنيها فلا يرفضه الأخفش ، ففى قوله تعالى : ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالأَنفَ بِالأَنفِ وَالأُذُنَ بِالأُذُنِ

---

(١٨٢) سورة الأنعام : آية ٣٣.

(١٨٣) معانى القرآن/٢٧٤.

(١٨٤) سورة الفرقان : آية ٢٠ وانظر البحر/٦ : ٤٩٠.

(١٨٥) المغني/١ : ١٩٢.

(١٨٦) الإنصاف/ ٢٠٨ (مسألة ٢٥).

(١٨٧) المغني/ ١ : ١٨٩.

والسِّنَّ بالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ﴾(١٨٨) قال : « إذا عطف على ما بعد (أن) نصب ، والرفع على الابتداء ، كما تقول : إن زيدا منطلق وعمرو ذاهب ، وإن شئت قلت : وعمراً ذاهبٌ ، نصب ورفع(١٨٩) ».

أما العطف بالرفع قبل استكمال الخبر فهو من المسائل الخلافية ، حيث ذهب الكوفيون « إلى أنه يجوز العطف على موضع (إن) قبل تمام الخبر ، واختلفوا بعد ذلك ، فذهب أبو الحسن على بن حمزة الكسائى إلى أنه يجوز ذلك على كل حال ، سواء كان يظهر فيه عمل (إن) أو لم يظهر ، وذلك نحو قولك : إن زيدا وعمرو قائمان ، وإنك وبكر منطلقان . وذهب أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء إلى أنه لا يجوز ذلك إلا فيما لم يظهر فيه عمل (إن) . وذهب البصريون إلى أنه لا يجوز العطف على الموضع قبل تمام الخبر على كل حال(١٩٠) » .

ويروى أبو جعفر النحاس أن الأخفش ذكر فى (المسائل الكبير) أن (والصابئون) عطف على المضمر الذى فى (هادوا) ، ونسب ذلك أيضاً إلى الكسائى(١٩١) . كما يروى البغدادى أن الأخفش لحّن من قرأ : « إن الله وملائكتُه يصلون على النبى(١٩٢) »- برفع (ملائكته) - فى قصة رواها فى الخزانة(١٩٣) فماذا قدم الأخفش فى (معانى القرآن) ؟ وما يمكن أن يستفاد منه ؟.

نص الآية ٦٩ من سورة المائدة : ﴿إنَّ الَّذين آمَنُوا وَالَّذين هَادُوا وَالصَّابِئُون وَالنَّصارىٰ من آمَنَ بِاللَّه وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَعَمِلَ صَالحًا فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ ، وفيها قال الأخفش : « وقال فى موضع آخر : (والصابئين) ، والنصب القياس ، على العطف على ما بعد (إن) . فأما هذه فرفعها على وجهين ، كأن قوله : (إن الذين

---

(١٨٨) سورة المائدة : آية ٤٥ .
(١٨٩) معاني القرآن/ ٢٥٩ .
(١٩٠) الإنصاف/ ١٨٥ ، ١٨٦ (مسألة ٢٣) ، وانظر : معاني الفراء/١ : ٣١٠-٣١٢.
(١٩١) إعراب النحاس/٢ :٣٢.
(١٩٢) سورة الأحزاب : آية ٥٦ ، والقراءة بالرفع لابن عباس وعبد الوارث عن أبي عمرو ، البحر/ ٧: ٢٤٨، والمختصر/ ١٢٠ .
(١٩٣) الخزانة/ ٤ :٣١٦ ، ٣١٧ .

آمنوا) فى موضع رفع فى المعنى لأنه كلام مبتدأ ، لأن قوله : إن زيدا منطلق ، و : زيد منطلق - من غير أن يكون فيه (إن) - فى المعنى سواء . فإن شئت إذا عطفت عليه شيئاً جعلته على المعنى ، كما قلت : إن زيدا منطلق وعمرو ، ولكنه إذا جعل بعد الخبر فهو أحسن وأكثر . وقال بعضهم : لما كان قبله فعل شبه في اللفظ بما يجرى على ما قبله ، ليس معناه فى الفعل الذى قبله ، وهو (الذين هادوا)، أجراه عليه ، فرفعه به ، وإن كان ليس عليه فى المعنى ، وذلك أنه يجىء أشياء فى اللفظ لا تكون فى المعانى ، مثل قولهم : هذا جُحْرُ ضَبٍّ خَرِبٍ ، وقوله : كذب عليكم الحجُّ ، يرفعون (الحج) بكذب ، وإنما معناه : عليكم الحجَّ ، نصب بأمرهم ، ويقول : هذا حب رمانى ، فتضيف الرمان إليك ، وإنما لك الحب وليس لك الرمان ، فقد يجوز أشباه هذا والمعنى على خلافه(١٩٤) » .

وهذا النص فيه رفضٌ للعطف بالرفع على اسم (إن) ، بيد أنه وجه الرفع في الآية على وجهين :

- العطف على موقع (إن) واسمها ، لأنهما معا فى موضع رفع ، فكأنه عطف على المبتدأ .

- العطف لفظيا على محل الضمير فى (هادوا) ، وإن كان المعنى على غير ذلك ، وهو الوجه الذى رواه عنه أبو جعفر النحاس .

أما آية (الأحزاب) والتى دارت حولها رواية البغدادى ، فلم يذكر فيها سوى قراءة النصب ، مغفلا تماما الحديث عن رفع (ملائكته)(١٩٥) . ومثل هذه الآية لا يجيز فيها الفراء العطف على اسم (إنّ) ، لتبين إعراب الاسم ، وأجازه الكسائى وثعلب ، تمسكا بقراءة هذه الآية(١٩٦) .

---

(١٩٤) معاني القرآن/ ٢٦١ ، ٢٦٢ .

(١٩٥) السابق/٤٤٣ .

(١٩٦) راجع : مجالس ثعلب/ ١ : ٣١٦ ، والإنصاف/١٨٦ .

مجيء (أنّ) بمعنى (لعلّ)

في قوله تعالى: ﴿وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾(١٩٧) قال : « وقرأ بعضهم : (أنها) ، وبها نقرأ ، وفسر على (لعلها) ، كما تقول العرب : اذهب إلى السوق أنك تشترى لى شيئا ، أى : لعلك ، وقال الشاعر :

قلت لشيبان : ادْنُ من لقائه

أنا نغذى القوم من شوائه

فى معنى : لعلنا(١٩٨) » .

وهذا الرأى للخليل بن أحمد ، رواه عنه سيبويه ، كما أورده الفراء مستشهدا لهذا المعنى بقراءة أبىّ : « لعلها إذا جاءتهم لا يؤمنون »(١٩٩).

مجيء (لعل) للتعليل:

قال الأخفش – فى قوله تعالى : ﴿لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ﴾(٢٠٠) – : « نحو قول الرجل لصاحبه : افرغ لعلنا نتغدى ، والمعنى : لنتغدى ، وحتى نتغدى. ويقول الرجل : اعمل عملك لعلك تأخذ أجرك ، أى : لِتأخذَه»(٢٠١).

ودلالة (لعل) على التعليل من المعانى التى أثبتها ابن هشام من بعد ، ونسبها لجماعة منهم الأخفش والكسائى . فإذا علمنا أن الكسائى تتلمذ للأخفش أمكننا أن ننسب هذا الرأى للأخفش ، وعنه أخذه غيره من العلماء(٢٠٢) .

هذه هى القضايا التى وردت حول (إن وأخوتها) فى (معانى القرآن) .

أما ما نسب إلى الأخفش مما لا وجود له فى المعانى فنذكر منه ما يلى :

---

(١٩٧) سورة الأنعام : آية ١٠٩.

(١٩٨) معانى القرآن/ ٢٨٥ ، ٢٨٦.

(١٩٩) راجع : الكتاب/ ٣ : ١٢٣ ، ومعانى الفراء/١ : ٣٥٠ ، ورصف المبانى/٢٠٧ ، والمغني/ ١ :٣٩.

(٢٠٠) سورة طه : آية ٤٤.

(٢٠١) معانى القرآن/٤٠٧.

(٢٠٢) انظر : المغني/ ١ : ٢٢٣ ، ومعانى القرآن للأخفش ص٣٤ من الدراسة.

أ- مجىء (إنّ) بمعنى (نعَمْ) :

نقل البغدادى فى الخزانة عن النحاس أنه سأل الأخفش عن قول الشاعر :

ويقُلْنَ : شيبٌ قد علا ك وقد كبرتَ ، فقلتُ : إنَّهْ

فقال : إن بمعنى نعم ، والهاء لبيان الحركة .

ونص البغدادى فى (الخزانة) : « وقال النحاس : وفى نسخة أبى الحسن الأخفش هذا البيت [يقصد نسخته من كتاب سيبويه]، وليس عندى عن أبى إسحاق. وفى النسخة : « أى : فقلت أجل » ، وسألت عنه أبا الحسن فقال : إن بمعنى نعم ، والهاء لبيان الحركة ، وكانت خطباء قريش تفتتح خطبتها بنعم ، انتهى »(٢٠٣).

وفى صلب النص السابق ما يطعن فى كون المقصود هو الأخفش الأوسط المتوفى سنة ٢١٥ هـ ، فأبو جعفر النحاس توفى سنة ٣٣٨هـ ، وإذا كنا لا نعرف تاريخ ميلاد النحاس بالتحديد فإن بين وفاته ووفاة الأخفش مائة وثلاثا وعشرين سنة ، لا تسمح بأن يلتقى بالأخفش أو أن يسأله .

إن المعقول أن يكون المقصود بالأخفش هو الأخفش الصغير ، أبو الحسن على بن سليمان بن الفضل الذى سمع ثعلبا والمبرد . ورحل إلى مصر سنة ٢٨٧هـ ، وخرج منها سنة ٣٠٠هـ . توفى ببغداد سنة ٣١٥هـ ، وقيل سنة ٣١٦هـ . سمعه النحاس وروى عنه كثيراً فى (إعراب القرآن) و (شرح القصائد التسع)(٢٠٤). وقد أورد النحاس نفسه هذا الرأى فى (إعراب القرآن) منسوبا إلى أبى إسحاق الزجاج وأبى الحسن على بن سليمان(٢٠٥) ، ومن ثم فالأخفش الأوسط ليس صاحب هذا الرأى ، وليس هو المقصود بهذه النسبة .

و (إن) فى البيت عند سيبويه بمعنى (أجل)(٢٠٦) .

---

(٢٠٣) الخزانة/ ١١ : ٢١٣.

(٢٠٤) إعراب القرآن/ ١ :١٤ (الدراسة).

(٢٠٥) انظر : إعراب القرآن/ ٣ : ٤٤ ، ٤٥.

(٢٠٦) الكتاب/٣ : ١٥١ ، وانظر : المغنى/ ١ : ٣٦ ، ورصف المباني/ ٢٠٤.

ب - نسب إليه ابن السراج فى (الأصول) أنه يقول : إن فى الدار جالسا أخواك، فينصب جالسا بـ (إنّ) ، ويرفع الأخوين بفعلهما مستغنيا بهما عن خبر (إن) ، كما يقال : أذاهبٌ أخواك ، فيرفع (ذاهب) بالابتداء ، و (أخواك) بفعلهما ، ويستغنى بهما عن خبر الابتداء(٢٠٧) .

جـ - روى الفارقى فى (الإفصاح) : أن الأخفش روى عن أبى عبيدة أنهم قد يفتحون اللام فى (لعل) ويجرون بها(٢٠٨) .

ولم تكن هاتان القضيتان لتوجدا فى (المعانى) - لو وجدتا - إلا استطرادا ، فالأولى دارت حول أسلوب لم يرد به نص قرآنى ، والثانية حول لهجة لم ترد بها قراءة ، فربما جاءت هاتان النقطتان فى مؤلف آخر للأخفش مما لم يصل إلينا .

---

(٢٠٧) الأصول/ ١ : ٢٥٥.

(٢٠٨) الإفصاح/ ١١١ .

لا : النافية للجنس

فى موضع واحد ، وفى فقر متتالية ، قدم الأخفش خلاصة فكره حول (لا) ، وكان ذلك في مناقشته لقوله تعالى فى سورة البقرة : ﴿ ذَلِكَ الْكِتَابُ لا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾(٢٠٩) ، ولباب ما قدمه هو :

١ - أنها لا تعمل إلا فى النكرات ، فإن دخلت على المعارف أهملت .

٢- ألا يفصل بينها وبين اسمها حتى تعمل ، فإن فصل بينها وبينه رفع ؛ «لأن (لا) لا تقوى أن تعمل إذا فصلت ».

٣- أن اسمها يُبْنَى ؛ لأنه جعل مع (لا) اسما واحدا ، وكل شيئين جعلا اسما لم يصرفا ، وهو مع البناء في محل نصب ، ويلاحظ أنه عبرمرة بقوله:

«فنصبهما بغير تنوين » ، ومرة ثانية بقوله : « فهو مفتوح بغير تنوين » ، ومرة ثالثة بقوله : « بنى عليه وجعل غير متمكن ».

٤- أن خبرها مرفوع ، وهو بمنزلة الفاعل ، وصار المنصوب بمنزلة المفعول به، و (لا) بمنزلة الفعل .

هذه الأفكار عن (لا) تقدمها النصوص التالية :

- « وقال : ﴿ لا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ ، وقال :﴿ فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ ﴾(٢١٠) فنصبهما بغير تنوين ، وذلك أن كل اسم منكور نفيته بـ (لا) ، وجعلت (لا) إلى جنب الاسم، فهو مفتوح بغير تنوين ، لأن (لا) مشبهة بالفعل ، كما شبهت (إن) و (ما) بالفعل ، و (فيه) فى موضع خبرها ، وخبرها رفعٌ ، وهو بمنزلة الفاعل ، وصار المنصوب بمنزلة المفعول به ، و (لا) بمنزلة الفعل . وإنما حذفت التنوين منه لأنك جعلته و (لا) اسما

---

(٢٠٩) سورة البقرة : آية ٢ .

(٢١٠) سورة البقرة : آية ٢٠٣.

واحدا ، وكل شيئين جعلا اسما لم يصرفا ، والفتحة التى فيه لجميع الاسم ، بنى عليها وجعل غير متمكن ، والاسم الذى بعد (لا) فى موضع نصب عملت فيه (لا)[٢١١] ».

- « وأما قوله : ﴿ لا فيها غولٌ ﴾[٢١٢] فرفعٌ ؛ لأن (لا) لا تقوى أن تعمل إذا فُصلت ، وقد فصلتها بـ (فيها) فرفع على الابتداء ، ولم تعمل (لا)[٢١٣] ».

- « وقال : ﴿ لا الشَّمْسُ ﴾[٢١٤] فأدخل (لا) لمعنى النفى ، ولكن لا ينصب ما بعدها ، إلا أن يكون نكرة »[٢١٥].

تكرار (لا)

إذا تكررت (لا) وكان ما بعد الثانية معرفة ، فهى غير عاملة مطلقا ، لافتقاد شرط العمل ، مثل قوله تعالى : ﴿ لا خوفٌ عَلَيْهِمْ ولَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾[٢١٦] أما ما بعد (لا) الأولى فيجوز بناؤه وإعمال (لا) ، ويجوز رفعه فتتسق الجملتان . قال الأخفش : « وأما قوله :﴿ لا خوفٌ عَلَيْهِمْ ولَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ فالوجه فيه الرفع ؛ لأن المعطوف عليه لا يكون إلا رفعا ، ورفعته لتعطف الآخر عليه . وقد قرأها قوم نصبا ، وجعلوا الآخر على الابتداء[٢١٧] ».

أما إن كان ما بعد (لا) الثانية نكرة فالوجه البناء على الفتح ، لأنه كله نفى ، وتحقق فيه التنكير ، كما يجوز رفعه كله على إهمال (لا) ، ويجوز رفع بعضه وترك بعضه الآخر . قال الأخفش : « وقوله : ﴿ فلا رفث ولا فُسوق ولا جِدال في

---

(٢١١) معاني القرآن/ ٢٣.
(٢١٢) سورة الصافات : آية ٤٧.
(٢١٣) معاني القرآن/ ٢٥.
(٢١٤) سورة يس : آية ٤٠.
(٢١٥) معانى القرآن/ ٤٤٩.
(٢١٦) سورة يونس : آية ٦٢.
(٢١٧) معاني القرآن/٢٤.

الحج ﴾(٢١٨) فالوجه النصب ، لأن هذا نفى ، ولأنه كله نكرة . وقد قال قوم : (فلا رفثٌ ولا فسوقٌ ولا جدالٌ فى الحج) فرفعوه كله ، وذلك أنه قد يكون هذا المنصوب كله مرفوعاً فى بعض كلام العرب . قال الشاعر :

وما صرمتك حتى قلت معلنةً ... لا ناقةٌ لى فى هذا ولا جملُ

وهذا جوابٌ لقوله : هل فيه رفثٌ أو فسوق ؟ فقد رفع الأسماء بالابتداء وجعل لها خبرا ، فلذلك يكون جوابه رفعا . وإذا قال : لا شئَ ، فإنما هو جواب : هل من شئ ؟ ، لأن (هل من شئ؟) قد عمل فيه (من) الجر ، وأضمر الخبر ، والموضع مرفوع ، مثل : بحسبك أن تشتمنى ، إنما هو : حسبُك أن تشتمنى ، فالموضع مرفوع ، والباء قد عملت . وقد قال قومٌ : « فلا رفثٌ ولا فُسُوقٌ ولا جدَالَ في الحجِ » فرفعوا الأول على ما يجوز فى هذا من الرفع ، أو على النهى ، كأنه قال : فلا يكونَنّ رفثٌ ولا فسوقٌ ، كما تقول : سمعُك إلى ، تقولها العرب فترفعها ، وكما تقول للرجل : حسبُك وكفيُك ، وجعل الجدال علي النفى ، وقال الشاعر :

ذاكم - وَجَدّكم - الصغارُ بأسره ... لا أمَّ لى إن كان ذاك ولا أبُ

فرفع أحدهما ونصب الآخر »(٢١٩).

حذف أحد الركنين

تحدث الأخفش فى هذه القضية حديثا غير مركز ، وقد يأتى فى غير سياق الحديث عن (لا) ، فيقول مثلا : « وتقول العرب : قد كان من حديث فخلّ عنى حتى أذهب، يريدون : قد كان حديث ، ونظيره قولهم : هل لك في كذا وكذا ؟ ولا يقولون: حاجة ، ولا عليك ، يريدون : لا بأس عليك »(٢٢٠).

---

(٢١٨) سورة البقرة : آية ١٩٧، وقد قرأ بن كثير وأبو عمرو برفع (رفث) و(فسوق) ووافقهما أبو جعفر ويعقوب. وزاد أبو جعفر فرفع (جدال) ، وافقه الحسن. وقرأ الباقون ﴿فَلا رَفَثَ وَلا فُسُوقَ وَلا جِدَالَ﴾، ولم يختلف السبعة فى فتح اللام من (لا جدال). انظر السبعة/١٨٠، والإتحاف/١٥٥.

(٢١٩) معانى القرآن/٢٤ ، ٢٥.

(٢٢٠) السابق/٩٩.

وعن قوله تعالى : ﴿لا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلاَّ مَن رَّحِمَ﴾(٢٢١) قال : «ويجوز أن يكون . (لا ذا عصمة) ، أى : لا معصوم ، ويكون (إلا من رحم) رفعا ، بدلا من العاصم »(٢٢٢)، ومفهوم النقاش فى الآية يعنى حذف الخبر ، فكل من اسم (لا) وخبرها يجوز حذفه إذا دل عليه دليل ، وأمن اللبس(٢٢٣) .

ومما أوردته المصادر منسوبا إلى الأخفش ولا وجود له فى (معانى القرآن) أنه أنشد للفرزدق قوله :

لو لم تكن غطفان لا ذنوبَ لها ... إلىَّ لامَتْ ذوو أحسابها عمرا

وفي البيت عملت (لا) وهى زائدة(٢٢٤) . وقد أسند البغدادى رواية إنشاد أبى الحسن الأخفش للبيت السابق إلى ابن عصفور فى (المقرب)(٢٢٥) ، ولا وجود للبيت ولا للقضية نفسها في كتاب ابن عصفور .

---

(٢٢١) سورة هود : آية ٤٣.

(٢٢٢) معاني القرآن/٣٥٣.

(٢٢٣) انظر : المغني/ ١:١٩٥.

(٢٢٤) الخصائص/ ٢ : ٣٦.

(٢٢٥) الخزانة/ ٤ : ٣٠ ، ٥٠.

ظن وأخواتها

يعد ما قدمه الأخفش في هذا الباب - على عكس الباب السابق - شذرات اقتضتها طبيعة الآيات المعالجة ، لكنها لا تكوّن - فى نهاية المطاف - تصورا كاملا عن هذا الباب ، وإن قدمت أهم القضايا التى تعالج فى أثنائه ، ومن هذه القضايا :

١- **التعليق** : ومعناه حجب أفعال القلوب عن العمل فى ظاهر اللفظ ، لوجود ماله صدارة الجملة أو ما يقوم مقامه ، ومن ثم تكون الجملة كلها فى محل نصب سادة مسدّ مفعولى الفعل القلبى . وقد تحدث الأخفش عن اثنين من المعلّقات ، وهما :

لام الابتداء التى قال عنها : « وتقع أيضا فى خبر (إنّ) ، وتصرف (إنّ) إلى الابتداء ، تقول : أشهد إنه لظريفٌ ، قال الله عزوجل : ﴿ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾ ، وقال : ﴿ أَفَلا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ * وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ * إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ ﴾(٢٢٦) » .

فقوله بأن اللام تصرف (إنّ) إلى الابتداء ، يعنى أن لها صدارة الجملة ، ومن ثم لا يعمل ما قبلها فيما بعدها ، فيكون الفعل قبلها معلقا عن العمل .

أما المعلق الثاني فهو **(ما) النافية** ، كما فى قوله تعالى : ﴿ وَظَنُّوا مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ ﴾(٢٢٧) حيث قال : « لأن (ما) ههنا ظرف ، وليس باسم ، والفعل لا يعمل فى مثل هذا ، فلذلك جعل الفعل ملغى »(٢٢٨).

ويلاحظ أنه أورد (التعليق) هنا تحت مسمى (الإلغاء) ، والإلغاء يعنى إبطال العمل لفظا ومحلا بدون مانع ، ولا أرى الأخفش تعرض له فى (معانى القرآن) .

---

(٢٢٦) معانى القرآن/ ١٠٨، وانظر الحاشيتين ١٨٠، ١٨١ من الفصل الثانى.

(٢٢٧) سورة فصلت : آية ٤٨ .

(٢٢٨) معاني القرآن/٤٦٨ .

٢ - **الحذف :** والحذف قد يكون حذفا للمفعولين معا ، وذلك فى قوله : «وقد تكون فى معنى لا يحتاج معه إلى شئ ، تقول للرجل : أما والله لو تعلم ، ولو يعلم ، قال الشاعر :

إن يكن طبُّك الدلالَ فلو فى ... سالف الدهر والسنين الخوالى

فهذا ليس له جواب إلا فى المعنى »(٢٢٩).

وقد يكون حذفا لأحد المفعولين ، كما فى قوله تعالى : ﴿ ما أَظُنُّ أن تبيد هذه﴾(٢٣٠) حيث قال : « استغنى ههنا بمفعول واحد ؛ لأن معنى (ما أظن أن تبيد): ما أظنها أن تبيد»(٢٣١) ، وإن كان قد قدم رأيا آخر فى موضع ثان ، هو الاستغناء بالمصدر المؤول عن المفعولين ، قال فى قوله تعالى : ﴿أفحسب الَّذين كفرُوا أن يتَّخذُوا عبادي﴾(٢٣٢) : « فجعلها (أن) التى تعمل فى الأفعال ، فاستغنى بها (حسبوا) [كذا فى النص المحقق ، والسياق يقتضى : حسب] ، كما قال : ﴿إن ظنا أن يقيما﴾»(٢٣٣) ، وهذا التوجيه أولى التوجيهين بالقبول .

أما فى قوله تعالى : ﴿ لا تَحسبنَّ الَّذين يفرحُون بما أَتَوْا وَّيحبُّون أن يُحْمدُوا بما لم يفْعَلُوا فلا تَحْسبَنَّهم بمفازة مِن الْعذاب﴾(٢٣٤) فقال : « ولم يجئ لـ (تحسبن) الأول بجواب ، وترك للاستغناء بما فى القرآن من الأجوبة»(٢٣٥) . وفى قوله تعالى : «ولا تَحْسبنَّ الَّذين يبْخلُون بما آتاهُمُ اللَّهُ من فضْله هُو خيْرًا لَّهم بلْ هُو شرٌّ لَّهمْ»(٢٣٦) : قال : «فأراد : ولاتحسبن البخل هو خيرا لهم ، فألقى الاسم الذى أوقع عليه الحسبان ،

---

(٢٢٩) السابق/ ١٥٤.
(٢٣٠) سورة الكهف : آية ٣٥.
(٢٣١) معانى القرآن/٣٩٦.
(٢٣٢) سورة الكهف : آية ١٠٢.
(٢٣٣) معاني القرآن/٤٠٠ ، والآية الأخيرة هى رقم ٢٣٠ من سورة البقرة.
(٢٣٤) سورة آل عمران : آية ١٨٨.
(٢٣٥) معاني القرآن/ ١٣٧ وانظر : ٢٢٢ ، ٢٢٣.
(٢٣٦) سورة آل عمران : آية ١٨٠ ، وقراءة (تحسبن) بالتاء قراءة حمزة . السبعة/ ٢٢٠.

وهو البخل ، لأنه قد ذكر الحسبان ، وذكر ما آتاهم الله من فضله ، فأضمرهما إذ ذكرهما ، وقد جاء من الحذف ما هو أشد من ذا(٢٣٧) ».

٣ - **علم بمعنى عرف :** قد تأتى (علم) بمعنى (عرف) ، فلا تنصب إلا مفعولا واحدا ، في حين تحتاج (علم) اليقينية إلى مفعولين ، ففى قوله تعالى : ﴿ ولَقَدْ علِمْتُم الَّذين اعْتَدوا منكُم في السَّبْت ﴾(٢٣٨) قال : « يقول : ولقد عرفتم ، كما تقول : لقد علمت زيدا ولم أكن أعلمه ، وقال : ﴿ وآخَرِين مِن دُونهِم لا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ﴾(٢٣٩) يقول : يعرفهم . وقال : ﴿ لا تَعْلَمُهُم نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ ﴾(٢٤٠) ، أى : لا تعرفهم نحن نعرفهم . وإذا أردت العلم الآخر قلت : قد علمت زيدا ظريفا ، لأنك تحدث عن ظرفه ، فلو قلت : قد علمت زيدا ، لم يكن كلاما »(٢٤١).

٤ - **رأى بمعنى أبصر :** تأتى (رأى) بمعنى (أبصر) ، وفى هذه الحال تستغنى بمفعول واحد ، قال : « أما رأيت زيدا ، إذا أردت : أبصرت زيدا ، فلا يتكلم بها إلا مهموزة أو مخففة »(٢٤٢)، وفى قوله تعالى : ﴿ ربِّ أرِني كَيْفَ تُحيِي الْموْتَىٰ ﴾(٢٤٣) قال : «فلم يكن ذلك شكا منه ، ولم يرد به رؤية القلب ، وإنما أراد به رؤية العين»(٢٤٤).

٥ - **ظن لليقين :** وقد أورد ذلك فى قوله تعالى : ﴿ وظَنُّوا مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ ﴾(٢٤٥) إذ جعل (ظن) بمعنى استيقن(٢٤٦) .

---

(٢٣٧) معانى القرآن/ ٢٢١ ، ٢٢٢ وانظر : إعراب النحاس/١ : ٤٢١ ، ٤٢٢.
(٢٣٨) سورة البقرة : آية ٦٥.
(٢٣٩) سورة الأنفال : آية ٦٠.
(٢٤٠) سورة التوبة : آية ١٠١.
(٢٤١) معانى القرآن/ ١٠٢ وانظر : إعراب النحاس/ ١ : ٢٣٤.
(٢٤٢) معانى القرآن / ١٠٠.
(٢٤٣) سورة البقرة : آية ٢٦٠.
(٢٤٤) معانى القرآن/ ١٨٣ ، وراجع البغداديات/ ٣٧٤ ، ٣٧٥.
(٢٤٥) سورة فصلت : آية ٤٨.
(٢٤٦) معانى القرآن/٤٦٨ وانظر : إعراب النحاس/ ٤ : ٦٧.

٦- **قدر بمعنى جعل :** فى قوله تعالى : ﴿ وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ ﴾[٢٤٧] قال : « فجعل (وقدره) مما يتعدى إلى مفعولين ، كأنه : وجعله منازل »[٢٤٨].

٧- **إجراء القول مجرى الظن :** وقد تحدث الأخفش عن هذه اللغة في قوله تعالى : ﴿ فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ ﴾[٢٤٩] حيث قال : « فيجوز أن تقول : فنادته الملائكة بذاك ، وإن شئت رفعته علي الحكاية كأنه يقول : فنادته الملائكة ، فقالت : إن الله يبشرك ؛ لأن كل شئ بعد القول حكاية، تقول : قلت عبد الله منطلق ، وقلت : إن زيدا منطلقٌ ، إلا فى لغة من أعمل القول من العرب كعمل الظن ، فذاك ينبغى أن يفتح (أَن)[٢٥٠] »، وهذه لغة سليم كما ذكرت فى كتب النحو[٢٥١] .

أما ما نسب إليه في هذا الباب مما ليس فى (معانى القرآن) فقول ابن جنى إنه أجاز : أَظْنَنْتُ زيدا عمرا عاقلا[٢٥٢] ، وهذا يعنى أنه يجيز تعدية (ظن) إلى ثلاثة مفاعيل بإدخال همزة التعدية ، كما تدخل على (علم) و (رأى) ، وكذا نسبه إليه الأشمونى ، بل إن الأشمونى نقل عنه جواز ذلك فى كل الأفعال القلبية[٢٥٣] ولعل هذا الرأى مما ورد فى مؤلفات الأخفش التى لم تصل إلينا .

---

(٢٤٧) سورة يونس : آية ٥.
(٢٤٨) معانى القرآن/ ٣٤٠.
(٢٤٩) سورة آل عمران : آية ٣٩.
(٢٥٠) معانى القرآن/١٠٩.
(٢٥١) راجع : شرح ابن عقيل/ ١٦٤ ، وحاشية الصبان علي الأشمونى/ ٢ : ٣٧ ، ٣٨.
(٢٥٢) الخصائص/ ١ : ٢٧١.
(٢٥٣) الأشموني/ ٢ : ٤٢.

ضمير الفصل

آثرت تأجيل هذه القضية إلى آخر الحديث عن الجمل الاسمية ، منسوخة وغير منسوخة ؛ لأن ضمير الفصل لا يختص بواحدة منها ، فقد يدخل بين المبتدأ والخبر ، كما يدخل بين ما كان أصله المبتدأ والخبر ، وقد أسماه الكوفيون (عمادا) وجعلوا له موضعا فى الإعراب ، وقد رأى بعضهم أن حكمه حكم ما قبله ، ورأى آخرون أن يعطى حكم ما بعده . أما البصريون فيسمونه (فصلا) ؛ لأنه يفصل بين النعت والخبر إذا كان الخبر مضارعا لنعت الاسم، حتى تُستبعد وظيفة النعت(٢٥٤) .

وقد تحدث الأخفش عن هذا النوع من الضمير علي أنه (صلةٌ) فى الكلام (زائدة) توكيدا ، وأنها لا تزاد إلا فى كل فعل لا يستغني عن خبر ، وليس الضمير بصفة لما قبله ، وهو يعنى بالصفة - كما يبدو من الأمثلة والشواهد التى عالجها - التوكيد اللفظى ، وهذا يعنى أن يعامل ما بعد الضمير بحسب احتياج ما قبله ، إلا فى لغة تميم ، فإنه يعامل معاملة الأسماء على أنه مبتدأ يكون ما بعده خبره.

ولم يذكر الأخفش مصطلح (الفصل) الذى ينسب إلى البصريين إلا فى موضعين :

أحدهما : حين تعرض لقراءة عيسى بن عمر : «هَؤُلاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرَ لَكُمْ»(٢٥٥) بنصب (أطهر) . حيث قال : « وهذا لا يكون ، إنما ينصب خبر الفعل الذى لا يستغنى عن خبر ، إذا كان بين الاسم وخبره هذه الأسماء المضمرة التى تسمى الفصل، يعني : هى، وهو، وهُنّ، وزعموا أن النصب قراءة الحسن أيضا»(٢٥٦).

والثانى فى قوله تعالى : ﴿ اللَّهُمَّ إِن كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِندِكَ ﴾(٢٥٧) حيث

---

(٢٥٤) الإنصاف/ ٧٠٦ (مسألة ١٠٠).

(٢٥٥) سورة هود : آية ٧٨.

(٢٥٦) معانى القرآن/ ٣٥٦ ، ٣٥٧.

(٢٥٧) سورة الأنفال : آية ٣٢.

قال: « فنصب الحق ، لأن هو - والله أعلم - جعلت ههنا صلة فى الكلام زائدة توكيدا كزيادة (ما) ، ولا تزاد إلا في كل فعل لا يستغنى عن خبر ، وليست (هو) بصفة لـ (هذا) ، لأنك لو قلت : رأيت هذا هو ، لم يكن كلاما ، ولا تكون هذه المضمرة من صفة الظاهرة ، ولكنها تكون من صفة المضمرة فى نحو قولك : ﴿ ولكن كانوا هُمُ الظَّالمين ﴾(٢٥٨) ، و ﴿ تجدُوهُ عند الله هُوَ خيرًا وأعْظَمَ أجرًا ﴾(٢٥٩)، لأنك تقول : وجدته هو، و : أتانى هو ، فتكون صفة. وقد تكون في هذا المعنى أيضا غير صفة ، ولكنها تكون زائدة كما كان فى الأول. وقد يجرى فى هذا مجرى الاسم ، فيرفع ما بعده إذاكان ما قبله ظاهرا أو مضمرا فى لغة لبنى تميم فى قولهم : «إن كان هذا هو الحقٌّ»(٢٦٠) ، «ولَكن كَانُوا هُمُ الظَّالمونَ»(٢٦١) ، و : «تَجدُوهُ عند اللَّه هُوَ خيرٌ وأَعْظَمُ أجرًا »(٢٦٢)، كما تقول كانوا آباؤهم الظالمون . وإنما جعلوا هذا المضمر نحو قولهم : هو وهما وأنت زائدا فى هذا المكان ، ولم يجعل فى مواضع الصفة ، لأنه فصل أراد أن يبين به أنه ليس بصفة ما بعده لما قبله ، ولم يحتج إلي هذا فى الموضع الذى لا يكون به خبر(٢٦٣) ».

وحديث الأخفش هذا عن ضمير الفصل يغطى كل النقاط التى تثار حوله ، ولا غرابة فيما قال ، سوى قوله : « ولأن (هو) - والله أعلم - جعلت ههنا صلة فى الكلام ، زائدة توكيدا كزيادة (ما) » . وواضح أنه يعنى بالزيادة - هنا - عدم قيام الضمير بوظيفة إعرابية فى الجملة التى ورد فيها .

---

(٢٥٨) سورة الزخرف : آية ٧٦.
(٢٥٩) سورة المزمل : آية ٢٠.
(٢٦٠) هى قراءة الأعمش وزيد بن على ، كما فى البحر/ ٤ : ٤٨٨.
(٢٦١) هى قراءة عبد الله وأبى زيد النحويين، كما ورد فى البحر/٨:٢٧.
(٢٦٢) هي قراءة أبى السمال وابن السميقع، كما فى البحر/ ٨: ٣٦٧.
(٢٦٣) معاني القرآن/ ٣٢١ ، ٣٢٢ ، وانظر : ٥١٤.

خاتمة

لعلنا - فى نهاية المطاف - نكون قد وفقنا فى إعطاء تصور صحيح عن فكر الأخفش الأوسط حول الجملة الاسمية : منسوخة وغير منسوخة ، يكون عوضا عن أجزاء من كتب له فقدت ، ويكون - فى الوقت نفسه - مؤشرا لمن يود السير فى هذا المضمار ، ليستكمل الحديث عن الجملة الفعلية ومكوناتها ، أو عن مكملات كلتا الجملتين .

وأهم ما استطاع هذا البحث الوصول إليه رفع إصر بعض الآراء التى نسبت إلى الأخفش وقال هو فى (معانى القرآن) بعكسها ، كما أشار إلى مواضع مما نسب إليه لا وجود لها فى (معانى القرآن) ، وتوقف عن قبولها أو رفضها خشية أن تكون مما ورد فى أحد مؤلفاته المفقودة ، وقدم فى النهاية بعض المواضع مما تفرد به الأخفش ولا تُعرف لغيره .

وأهم ما نسب إلى الأخفش وقال هو بعكسه :

١ - ارتفاع (يعقوبُ) فى قراءة « ومن وراء إسحاق يعقوبُ » برفع (يعقوب) بما قبله من الجار والمجرور .

٢ - زيادة الفاء فى خبر المبتدأ إذا لم يكن موصولا صلته الفعل .

٣- حذف الخبر فى جملة (ما أحسنَ زيداً) على أن (ما) موصولة ، وما بعدها صلتها .

٤- زيادة الواو مطلقا .

٥- أن (لات) لا تعمل شيئا ، فإن وليها مرفوع فهو مبتدأ خبره محذوف ، أو منصوب فهو مفعول لفعل محذوف .

٦- أن (لات) تعمل عمل (إنّ) ، فتنصب الاسم وترفع الخبر.

٧- جواز العطف على اسم (إنّ) بالرفع قبل استكمال الخبر.

أما الآراء التى نسبت إليه مما لا وجود له فى (معانى القرآن) فهى :

١- جواز ارتفاع المبتدأ بعد (إذا) الشرطية .

٢- دخول لام الابتداء على خبر المبتدأ .

٣- قوله : إن (نَوْحٌ) فى قوله « وهى عليه نَوْحٌ» جمعٌ ، مثل : رَكْب جمع راكب ، على أنه وجه ثالث فى تخريج النص ، وقد قدم وجهين فقط ؛ أن يكون المقصود المبالغة وأداتها الإخبار بالمصدر ، أو يكون على حذف مضاف، أى : وهى عليه صاحبةُ نوحٍ .

٤- جواز تقديم خبر ليس عليها.

٥- زيادة الواو في خبر (كان) .

٦- استعارة ضمير النصب مكان ضمير الرفع فى (عسانى) .

٧- أن يلى (إنْ) المخففةَ من الثقيلة الفعلُ غيرُ الناسخ .

٨- دخول لام الابتداء على خبر (إن) إذا كان الخبر جملة فعلية فعلها ماض جامد .

٩- قوله بنصب (جالسا) فى قوله : (إن فى الدار جالسا أخواك) بـ (إنّ) ورفع (أخواك) مستغنيا عن خبر (إن) ، كما يقال : أذاهبٌ أخواك؟.

١٠- فتح لام (لعلّ) والجر بها .

١١- عمل (لا) النافية للجنس وهى زائدة.

١٢- تعدِّى (ظن) وغيرها من الأفعال القلبية بهمزة التعدية إلى ثلاثة مفاعيل، مثلها فى ذلك مثل علم ورأى .

وأما الآراء التى تفرد بها ولا نعرفها لغيره فهى :

١ - حذف كان وخبرها وبقاء الاسم . وقد رأينا أن هناك توجيها آخر فى الصفحة نفسها يلغى القول بهذا الرأى .

٢ - أن (عسى) الدالة على الرجاء إذا صدرت من عند الله فهي واجبة .

٣ - مجئ (أكاد) بمعنى (أريد) أو العكس .

٤ - إطلاقه على اللام المزحلقة لقب (الزائدة) . وقد وجهنا اللقب على أنها ليست ذات تأثير فى شكل مدخولها إعرابيا .

٥ - مجئ (لعلّ) للتعليل .

والحمد لله على ما وفق وأعان

د . شعبان صلاح

مصادر البحث

- **إتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر** ، للبناء الدمياطى، تصحيح وتعليق : على محمد الضباع، مصورة دار الندوة الجديدة ببيروت عن طبعة القاهرة ١٣٥٩هـ بمطبعة عبد الحميد أحمد حنفى .
- **الأصول** ، لابن السراج ، تحقيق : عبد الحسين الفتلى ، ط :١ ، مؤسسة الرسالة - بيروت ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.
- **إعراب القرآن** ، لأبى جعفر النحاس ، تحقيق : زهير غازى زاهد ، ط :٢ ، عالم الكتب ومكتبة النهضة العربية - بيروت ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.
- **الإفصاح فى شرح أبيات مشكلة الإعراب** ، لأبى نصر الحسن بن أسد الفارقى ، تحقيق : سعيد الأفغانى ، ط :٣ ، مؤسسة الرسالة - بيروت ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م.
- **إملاء ما منّ به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات فى جميع القرآن** ، للعكبرى - مصر ١٣٢١هـ.
- **الإنصاف في مسائل الخلاف** ، لابن الأنبارى ، تحقيق : محيى الدين عبد الحميد ، ط١٥ ، دار الفكر - بيروت ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م.
- **أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك** ، لابن هشام ، تحقيق : محيى الدين عبد الحميد ، ط :٥ القاهرة ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م.
- **البحر المحيط** ، لأبى حيان - القاهرة ١٣٢٨هـ.
- **البرهان الكاشف عن إعجاز القرآن** ، لعبد الواحد بن عبد الكريم الزملكانى ، تحقيق : د. خديجة الحديثى و د. أحمد مطلوب - العراق ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م.
- **البغداديات** : راجع المسائل المشكلة .
- **التبيان فى علم البيان المطلع على إعجاز القرآن** ، لعبد الواحد بن عبد الكريم الزملكانى، تحقيق : د. أحمد مطلوب و د. خديجة الحديثى - العراق ١٣٨٣هـ/١٩٦٤م.
- **التطور النحوى** ، لبرجشتراسر - القاهرة ١٩٢٩م.
- **حاشية الصبان على الأشمونى** ، للشيخ محمد الصبان - الحلبى بالقاهرة ١٣٢٩هـ.
- **خزانة الأدب** ، لعبد القادر البغدادى ، تحقيق : عبد السلام هارون - الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ومكتبة الخانجي - القاهرة.
- **الخصائص** ، لابن جنى ، تحقيق : محمد على النجار - بيروت ط :٢ د. ت.
- **دلائل الإعجاز** ، لعبد القاهر الجرجانى. ط : ٦ مكتبة صبيح بالقاهرة ١٣٨٠هـ/١٩٦٠م.

- **رصف المبانى فى شرح حروف المعانى** ، للمالقى (أحمد بن عبد النور) ، تحقيق : د. أحمد الخراط ، ط : ٢ ، دار القلم - دمشق ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

- **السبعة ، لابن مجاهد** ، تحقيق د. شوقى ضيف ، دار المعارف بالقاهرة ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م.

- **سر صناعة الإعراب** ، لابن جنى ، تحقيق : د. حسن هنداوى - دار القلم - دمشق ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

- **شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك** ، لبهاء الدين بن عقيل - دار الشعب بالقاهرة - د. ت.

- **شرح التصريح على التوضيح** ، للشيخ خالد الأزهرى - الحلبى بالقاهرة د. ت .

- **الضرورة الشعرية فى النحو العربى** ، للدكتور : محمد حماسة عبد اللطيف ، مكتبة دار العلوم. القاهرة ١٩٧٩م.

- **العروض** ، للأخفش الأوسط ، تحقيق : د. أحمد عبد الدايم - الفيصلية بمكة المكرمة ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

- **فقه اللغة وخصائص العربية** ، لمحمد المبارك ، ط :٤ ، دار الفكر - بيروت ١٩٧٠م.

- **الكتاب** ، لسيبويه ، تحقيق : عبد السلام هارون ، ط :٢ ، الهيئة العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٧٧م.

- **الكشاف للزمخشرى** ، تحقيق : محمد الصادق قمحاوى ، الحلبى بالقاهرة ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م.

- **اللغة العربية : معناها ومبناها** ، للدكتور/تمام حسان - الهيئة العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٧٣م.

- **مجالس ثعلب** ، تحقيق : عبد السلام هارون ، دار المعارف بمصر ١٩٤٨ م. ١٩٤٩م.

- **المجيد فى إعجاز القرآن المجيد** ، لابن خطيب زملكان ، تحقيق : د. شعبان صلاح ، دار الثقافة العربية - القاهرة ١٤١٠هـ/١٩٨٩م.

- **مختصر فى شواذ القراءات من كتاب البديع** ، لابن خالويه ، نشر : برجشتراسر ، مكتبة المتنبى - القاهرة د. ت .

- **المسائل البصريات** ، لأبى على الفارسى ، تحقيق : د. محمد الشاطر ، مطبعة المدنى بالقاهرة، ط :١ ، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

- **المسائل العضديات** ، لأبى على الفارسى ، تحقيق : د. على جابر المنصورى ، ط :١ عالم الكتب ومكتبة النهضة العربية - بيروت ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.

- **المسائل المشكلة المعروفة بالبغداديات** ، لأبى على الفارسى ، تحقيق : صلاح الدين السنكاوى. بغداد ١٩٨٣م.

- **معانى القرآن** ، للأخفش ، تحقيق : د. فائز فارس ، ط : ٣ دار البشير ، ودار الأمل - بيروت ١٤٠١هـ/١٩٨١م.

- **معانى القرآن** ، للفراء ، تحقيق : أحمد يوسف نجاتى ومحمد على النجار وعبد الفتاح شلبى، القاهرة ١٩٥٥م وما بعدها .

- **معانى القرآن و إعرابه** ، للزجاج ، تحقيق : د. عبد الجليل شلبى ، ط :١ ، عالم الكتب ، بيروت ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.

- **مغنى اللبيب عن كتب الأعاريب** ، لابن هشام - الحلبى بالقاهرة . د . ت.

- **المقتضب للمبرد** ، تحقيق ، محمد عبد الخالق عضيمة ، ط : ٢ ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، القاهرة ١٣٩٩هـ.

- **همع الهوامع** ، للسيوطى . تصحيح : السيد محمد بدر النعسانى . دار المعرفة - بيروت د. ت.

الفهرس

الموضوع	الصفحة
العامل فى اسم إنّ وخبرها	٨٢
همزة إنّ	٨٢
أ - مواضع وجوب الكسر	٨٣
ب - مواضع وجوب الفتح	٨٥
تخفيف ذوات النون	٨٨
لام الابتداء ، أو اللام المزحلقة	٩٣
العطف على اسم إن وأخواتها	٩٤
مجىء أنّ بمعنى لعلّ	٩٧
مجىء لعلّ للتعليل	٩٧
لا النافية للجنس	١٠٠
تكرار لا	١٠١
حذف أحد الركنين	١٠٢
ظن وأخواتها	١٠٤
١ - التعليق	١٠٤
٢ - الحذف	١٠٥
٣ - علم بمعنى عرف	١٠٦
٤- رأى بمعنى أبصر	١٠٦
٥ - ظن لليقين	١٠٦
٦ - قدّر بمعنى جعل	١٠٧
٧- إجراء القول مجرى الظن	١٠٧
ضمير الفصل	١٠٨
خاتمة	١١١
مصادر البحث	١١٣

طبع بدار غريب للطباعة
١٢ شارع نوبار (لاظوغلى) القاهرة
ص ب (٥٨) الدواوين ت : ٧٩٤٢٠٧٩

هذا الكتاب

رصدٌ لما ورد من أفكار الأخفش الأوسط حول «الجملة الاسمية» فى كتابه «معانى القرآن»، وموازنة ذلك بما رواه عنه الرواة من آراء قد يناقض بعضها ما ورد، وقد لا يكون لبعضها الآخر وجود.

وليس القصد من هذا البحث تخطئة نحوى، ولا اتهام راوٍ؛ لأن كتب الأخفش الأخرى غير موجودة حتى يمكن التقصى والحكم بعدم التأنى، لكنه نوع من كشف النقاب عن فكر نحوى من أوائل المؤسسين لصرح النحو العربى.

هانى أحمد غريب